كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

إعادة ترتيب المعجمات العربية
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

د/ عصام فاروق إمام أحمد

أستاذ أصول اللغة المساعد
في كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٩م)

إعادة ترتيب المعجمات العربية
دراسة تحليلية نقدية

عصام فاروق إمام أحمد
قسم أصول اللغة بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
جامعة الأزهر – مصر
البريد الإلكتروني: dr.esamfa@Azhar.edu.eg

ملخص:

يَتتبَّع هذا البحثُ بالرصد والتحليل والنقد واحدةً من الظواهر المهمة في الصناعة المعجمية،وهي ظاهرة (إعادة ترتيب المعجمات العربية).

ويسعى الباحث من خلاله إلى بعض الأهداف، وهي: الوقوف على حجم هذه الظاهرة في التراث المعجمي العربي. وبيان خصائص إعادة ترتيب المعجمات، وبيان الآثار السلبية لبعض تلك المحاولات على التصنيف المعجمي العربي. إضافة إلى البحث عن بدائل أخرى لإعادة ترتيب المعجمات.

وقد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مضيفا إليه المنهج النقدي في بعض المواضع، وبفحص الأهداف السابقة تبين وجود ثمانٍ وعشرين محاولة لإعادة الترتيب،عمل البحث على تحليل نماذج لها. كما قدم البحث بعض البدائل التي يمكن أن تجمع بين المحافظة على أصل المعجم وترتيبه كما أراده صاحبه من جانب، والتيسير على الباحث في مثل هذه المعجمات من جانب آخر، كإعداد فهارس متنوعة، واستعمال المعجمات الإلكترونية،

الكلمات المفتاحية: المعجمات، المعجمات العربية، إعادة الترتيب.

The Rearrangment of the Arabic dictionaries "An analytical critical study"

Esam Farouk Emam Ahmed

Al Azhar Girls College , Language Origins department , 10th Ramadan

Al Azhar University- Egypt

E-mail: dr.esamfa@Azhar.edu.eg

Abstract

This research is tracking one of the main externals in the lexical industry by monitoring , analysis , and criticism. This phenomena is called "The rearrangement of the Arabic dictionary" , and through this study , the researcher is seeking for some objectives which are:- Understanding the size of this phenomena in the Arabic lexical legacy, exploring the characteristics of lexicons' rearrangement, realizing the adverse effects of these trials on the Arabic lexical classification, in addition to seeking for other alternatives of the rearrangement of these dictionaries.

This study adopted the descriptive analytical approach, besides the critical one in some placements. By the examination of the previous objectives, we found twenty eight trials of rearrangement, and the researcher worked on analyzing some samples of it. The research also provided some alternatives that can combine the maintenance of the dictionary's main form and order as the writer's wish on a side, and the facilitation of studying for the researcher on another, for example, preparing various indexes and the usage of the electronic lexicons.

Key words : dictionaries, Arabic dictionaries , rearrangement

مقدمة

توافرت للتراث العربي بوجه عام واللغوي منه بوجه خاص من الخصائص ما يدعو منتسبيه إلى الافتخار به، والذود عن حياضه، والمحافظة على منجزاته العلمية، التي تعدّ حلقة من حلقات الحضارة الإنسانية التي حمل العربُ لواءها مدة من الزمن، كان الغرب فيها يهيم في عصوره الوسطى، ويمكن أن نعدد من تلك الخصائص خصيصة الضخامةُ؛ فعلى مدار أكثر من أربعة عشر قرنًا أقام المسلمون والعرب دعائم حضارتهم العظيمة، وشكلت الكلمةُ واحدة من أعظم هذه الدعائم، حتى قيل إن الحضارة العربية حضارةُ كلمة، وكيف لا؟ وقد تحداهم الله عزوجل بكلمات معجزة تحمل من المعاني ما ذهب بلبهم، وخلب أفئدتهم، ذلك الإعجاز الذي يحمل في طياته تفوقهم في ذلك المجال، إذ محالٌ أن يُتَحدَّى من لا يملك مؤهلات التحدي.

كما يمتاز هذا التراث بخصيصة التنوع؛ من حيث عدم الاعتماد على أنماطٍ اعتياديةٍ متكررةٍ من التأليف، بل أبدع اللاحقون صنوفًا مختلفة، أكملوا في بعضٍ منها ما بدأه أسلافهم، وكان من دواعي هذا التنوع خدمة المصنفات السابقة، سواء بالتهذيب أو الشرح أو الاستدراك أو غيرها من الأوجه التي تسهم في صلاحية نصٍّ ما للقراءة، أو تهيئته وتقريبه للقارئ الذي قد يحتاج إلى وسيطٍ يعينه على فهم النصوص، خصوصًا القديمة منها. ومن الخدمات التي وُجهتْ إلى تراثنا اللغوي ما يعرف بإعادة الترتيب، بأن يعمد عالمٌ إلى إعادة ترتيب نصٍّ ما، سواء أكان هذا النص مرتبًا ترتيبًا آخر يشتمل على نوع من أنواع الصعوبة أم غير مرتب فيحوله المصنف إلى نص ذي ترتيب معين.

ومن المصنفات التي رأى بعض العلماء أنها في حاجة إلى إعادة ترتيب بعض المعجمات العربية، تلك التي بدأ الترتيب المعجمي فيها مرتبطًا بنوعٍ من الصعوبة؛

التي كان مصدرها حاجة الباحثين في المعجم إلى معرفة مخارج الأصوات العربية- وهو النهج الذي اختطه الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) في معجمه (العين)- وهو أمر لا يتأتى لكثيرٍ منهم، ولذا فقد كان الهدف من إعادة ترتيب هذا المعجم على وجه الخصوص متمثلًا في تيسير طريقة البحث فيه، وهو الهدف نفسه الذي من أجله تعددت المدارس المعجمية في التراث العربي، فما اتجه ابن دريد (٣٢١هـ) إلى طريقة التقليبات الهجائية إلا هروبًا من طريقة الخليل الصوتية الوعرة، مع إبقائه على نظام التقليبات، وما ابتكر الجوهري (٣٩٣هـ) – فيمن يجعله رائدَ مدرسة القافية- نظام القافية إلا هروبًا من طريقة التقليبات صوتيةً كانت أو هجائيةً، وما استقر ابن فارس على الأبجدية الدائرية وكذلك الزمخشري (٥٣٨هـ) – فيمن يجعله رائدَ المدرسة الهجائية العادية- على الترتيب الهجائي على أوائل الكلمات، إلا تيسيرًا منهما لطريقة البحث في المعجمات العربية.

وعلى هذا الطريق سار معيدو ترتيب المعجمات العربية؛ الذين عمدوا إلى تيسير سبلها مع المحافظة على موادها وألفاظها، ولكن هل كان هذا هو الهدف الأوحد لمعيدي المعجمات في التراث العربي أم أن هناك أهدافًا أخرى؟ وما حجم هذه الظاهرة في تراثنا العربي؟ وما خصائص هذه الإعادة؟ وهل لها آثار سلبية على التصنيف المعجمي؟ وهل يمكن البحث عن بدائل أخرى تؤدي الفائدة نفسها مع عدم الإخلال بالنظام الذي وضعه صاحب المعجم لمعجمه؟

تلك التساؤلات التي أتغيا من وراء هذا البحث على الإجابة عنها، معنونا إياه بـ(إعادة ترتيب المعجمات العربية دراسة تحليلية نقدية)، متبعًا فيه آليات الوصف والتحليل؛ لكونها أهم آليات المنهج الوصفي، راصدًا أهم النقود التي يمكن توجيهها إلى عملية إعادة ترتيب المعجمات.

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مدخل وثلاثة مطالب تليها خاتمة يتبعها فهرس للمراجع، وذلك على النحو الآتي:

مدخل- الصناعة المعجمية وبواعث التغيير

المطلب الأول : محاولات إعادة ترتيب المعجمات العربية.

المطلب الثاني: إعادة ترتيب المعجمات العربية (تحليلٌ ونقدٌ)

المطلب الثالث: إعادة ترتيب المعجمات والبدائل الأخرى.

خاتمة.

فهرس المراجع.

مدخل

الصناعة المعجمية وبواعث التغيير:

رأى بعض المعجميين في أنفسهم حاجة إلى تحويل عدد من معاجم السابقين، من حالةٍ ترتيبية إلى حالةٍ أخرى؛ لعلها تكون أكثر مناسبة لقارئيها، من حيث سهولة الترتيب أو تعديل طريقة العرض، ورأى البعض أنَّ منها ما يحتاج إلى تدخل منه سواء أكان بالشرح أو الاختصار والتهذيب أم غيرها من أشكال العلاقات بين النصوص.

فمنهم من عمد إلى التلخيص والتهذيب، وهناك الكثيرُ من نماذج هذا المسلك، فمعجم (العين) هذَّبه أبو بكر الزُّبيدي (٣٧٩هـ) في (مختصر العين)، ومعجم (الصحاح) للجوهري هذَّبه كثيرون، منهم: أبو بكر الرازي (٦٦٦هـ) في (مختار الصحاح)، ومحمد بن أحمد بن نجم الدين بن جمال الدين الحنفي (٨٧٥هـ) في (مختصر الصحاح). كما اختصر معجمَ (القاموس المحيط) كثيرون، منهم: إبراهيم بن محمد الحلبي (٩٥٦هـ) في (مختصر القاموس)، وكذلك أحمد بن علي القضاعي الأندلسي الوجاري الفاسي (١١٤١هـ) في (مختصر القاموس) أيضا.

ووجد بعض العلماء في المعجمات السابقة ما يحتاج إلى استدراك، خصوصًا إذا علا شأن المستدرَك، كـ(العين) أيضًا، فممن استدرك عليه علي بن نصر الجهضمي البصري (١٨٧هـ) في (الاستدراك على العين)، وأبو طالب المفضل بن سلمة الكوفي (٣٠٠هـ) في (الاستدراك على الخليل في كتاب العين)، وأبو الفتح محمد بن جعفر الهمذاني (٣٧١هـ) في (الاستدراك لما أغفله الخليل)، وغيرهم.

كما جمع بعضُهم بين أكثر من معجمٍ في كتابٍ واحدٍ، تعميمًا للفائدة، وإفادة الباحثين بكمٍّ أكبر من المواد اللغوية التي تحويها هذه المعجمات، ومن ذلك: جَمْعُ أبي إسحاق إبراهيم بن قاسم البطليوسي، المعروف بالأعلم النحوي (٦٤٦هـ) بين

معجمي الصحاح للجوهري والغريب المصنف لأبي عبيد، في مجموع واحد سمَّاه: (الجمع بين صحاح الجوهري وغريب المصنف في اللغة). وكذلك جَمْعُ تاج الدين بن مكتوم (٧٦٩هـ) بين (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده و(العباب الزاخر) للصغاني في مجموع واحد سمَّاه: (الجمع بين العباب والمحكم في اللغة). [١]

كما ظهرت أنواعٌ متعددةٌ لتحويل النصوص وإعادة ترتيبها، وقد بدت لتلك الإعادة مظاهرُ متعددةٌ، فاتجه «بعضُ المصنفين إلى إعادة ترتيب نص معين بحسب حروف المعجم؛ ليسهل الرجوع إلى المعلومات المطلوبة منه، وفي هذه الحالة يتحول النصُّ من كتابٍ عاديٍّ إلى مرجعٍ (reference) له ترتيبٌ مرجعيٌّ نسقيٌّ (systematic) تُرتَّبُ فيه وحدات المعلومات تحت مداخل أو (كلمات) مرتبة هجائيًّا (ألفبائيًّا) في الغالب.»[٢]

وممن اتبع هذه الطريقةَ أبو البقاء العكبري (٦١٦هـ) في كتابه (المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على المعجم) فقد حوَّل كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت (٢٤٤هـ) من حالته النصية العادية إلى حالة معجمية ذات ترتيب هجائي، وكان هدفه من وراء ذلك التيسير على القراء وجمع شتات ما تفرق من المواد، يقول عن ذلك بعد الثناء على (إصلاح المنطق): «.. إلا أنه مع توسط حجمه وغزارة علمه، متوعَّر المسلك، مستصعب المدرك؛ لأشياء، منها: التكرير المحض الممل لحفاظه، والترتيب الموجب تفرُّق ألفاظه... فرأيت أن أجمع شمل شوارده؛

(١) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/٦٠٠)، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ت.

(٢) عبقرية التأليف العربي: علاقات النصوص والاتصال العلمي (٢٤٥، ٢٤٦) د. كمال نبهان، ط مجلة الوعي الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

لتزدوج مفترقات فرائده، فرتبته على حروف المعجم.. » [1]

وكذلك أعاد الذهبي (٧٤٨هـ) ترتيب كتاب (الكنى) للحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) على حروف المعجم في كتابٍ سمَّاه (المقتنى في سرد الكنى). ومثله أعاد المِزِّي (٧٤٢هـ) ترتيب كتاب (الكمال في أسماء الرجال) لعبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ) على حروف المعجم، بعد أن كان الأصل مرتبا على الطبقات وسمَّاه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال). [2]

كما وجدنا تحويلًا لبعض المعجمات من الحالة النثرية العادية إلى النظم، فقد حول ابن معطي النحوي (٦٢٨هـ) كلًا من صحاح الجوهري وجمهرة ابن دريد إلى نصٍّ معلوم، فأخرج لنا: (نظم صحاح الجوهري)، و(نظم الجمهرة).

إن العمل على خدمة المعجمات السابقة تهذيبًا أو شرحًا أو استدراكًا أو تحويلًا لمادتها، على نحو ما رأينا في السطور السابقة لينطوي على دلالات مهمة، لعل منها أنَّ كثيرًا من الكتب في الحضارة العربية- الإسلامية يمثل مشروعًا فكريًّا قابلًا للتطوير والتحسين، والتلقي والإضافة والتصحيح والمعارضة والتكملة والاستمرار. كما أنَّ الحضارة العربية – الإسلامية تبدو (حضارة كتاب)، بدأت عبقريتها بالمثل الأعلى في النسق الديني، وهو القرآن الكريم، الذي كان المحرك الأصل لكل هذه الفعاليات في التأليف، ومن ثم انسربت تلك الإحاطة حول (النص المهم) في جسد التأليف العربي في شتى المجالات. وأدرك العرب قيمة النص في التجربة الإنسانية، فهو مخزن القيم المعرفية والأخلاقية، وذاكرة الحضارة، وركيزة التوازن العقلي

(١) المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على المعجم (٤٦/١) ياسين محمد السواس، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القري، سلسلة (من التراث الإسلامي) الكتاب السابع والعشرون، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢) ينظر: عبقرية التأليف العربي (٢٤٦، ٢٤٧).

والنفسي والاجتماعي، فالنص ثابت والفهم متحرك. [1] ولذا كانت بعض الكتب العربية محور مشاريع تأليفية وتصنيفية متعددة، مما أظهر التأليف العربي في بعض جوانبه في شكلٍ نسقي ذي ثراء وتعدد.

(١) ينظر: السابق (٢٣ وما بعدها).

المطلب الأول

محاولات إعادة ترتيب المعجمات العربية

إن الأساس الذي تقوم عليه عملية إعادة ترتيب المعجمات العربية ينبني على تحويل الترتيب الخارجي لمعجمٍ ينتمي لمدرسة معجمية بحسب ما ارتضاه صاحبه إلى ترتيبٍ ينتمي لمدرسة معجمية أخرى.

ومن المعروف أن تاريخ المعجمية العربية القديمة شهد عدة مدارس معجمية– بحسب تقسيم المحدثين– مِن العلماء مَن جعلها أربعًا كالدكتور حسين نصار، وهي: (التقليبات الصوتية، والتقليبات الهجائية، والقافية، والهجائية العادية)، وإلى هذا العدد ذهب أحمد عبد الغفور العطار، في مقدمة الصحاح، لكنه نظر إلى تَوُّزع هذه المعجمات بين وجهي الكلمة: اللفظ والمعنى، فقسم المعجمات اللغوية إلى ثلاث مدارس، وضم إليها مدرسةً رابعةً تختص بالموضوعات، يقول: «.. وعلى هذا فإن المدارس اللغوية في رأينا أربع، لكل منها نظام خاص، ومنهج خاص، وشخصية خاصة.. وهذه المدارس الأربع هي:

١. مدرسة الخليل. [ومن الواضح أنه يقصد بها (مدرسة التقليبات) بوجه عام، ولذا ضم إليها جمهرة اللغة لابن دريد، لاعتماده على التقليب بغض النظر عن نوعه: صوتيًا كان أو هجائيًا].
٢. مدرسة أبي عبيد. [ويقصد بها (مدرسة الموضوعات) حيث تُرتَّب المادة المعجمية فيها بحسب الموضوع، وفي صدارة هذه المدرسة معجم (الغريب المصنف) لأبي عبيد.]
٣. مدرسة الجوهري. [وهي المعروفة بمدرسة القافية، حيث ترتب فيها المادة بحسب الحرف الأخير، كالقافية في الشعر، والصحاح أول في معجم معتبر – بحسب ما يرى المؤلف– يسلك هذا الترتيب.]

مدرسة البرمكي. [ويقصد بها (المدرسة الهجائية) التي ترتب المواد فيها بحسب الحرف الأول مع مراعاة ما يليه من حروف، وينسب البعض هذه المدرسة للزمخشري لاعتبار عمل أبي المعالي محمد بن تميم البرمكي، إعادة ترتيب للصحاح، كما سنوضح عند الحديث عن معجمه]. »[(١)]

ومن العلماء من قسم المدرسة الهجائية إلى:

- الهجائية الدائرية (لتضم مقاييس اللغة، والمجمل في اللغة، لابن فارس).
- والهجائية العادية (لتضم العديد من المعجمات كأساس البلاغة للزمخشري، ومعظم المعجمات الحديثة).[(٢)]

كما فصل بعضُ المحدثين عن المدرسة الهجائية بعضَ المعجمات التي اعتمد فيها أصحابُها على عدم تجريد المواد عند الترتيب أو ما سماه: (الترتيب النطقي- الترتيب الفرنجي) واعتبره مرحلة خامسة من تطور المعجمات العربية؛ متذرعًا بصعوبة مراعاة أصول الكلمات، في ترتيب مواد المعجم، وبخاصة بالنسبة لطلاب المرحلة الابتدائية والمتوسطة وحتى الثانوية، ومعتمدًا على وجود هذه الطريقة عند بعض علمائنا القدامي في بعض المعجمات المتخصصة كالتعريفات للجرجاني، والكليات للكفوي.[(٣)]

وليس المجال هنا متسعًا لعرض تلك التقسيمات بالتفصيل، وبيان ما بينها من فروق، وما لبعضها من مميزات أو سلبيات، أو نسبة كل مدرسة إلى رائدها

---

(١) مقدمة تاج اللغة وصحاح العربية (٩٤، ٩٥) بتصرف، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط رابعة ١٩٩٠م.

(٢) ممن ذهب إلى ذلك: أستاذنا د. عبد الله ربيع في كتابه: المعجم العربي بين النظرية والتطبيق (٥٨ وما بعدها)، ط ثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر: المعاجم اللغوية العربية بداتها وتطورها (١٦١) إميل يعقوب، دار العلم للملايين- بيروت، ط ثانية ١٩٨٥م.

واختلاف العلماء في ذلك، فلذلك حديث آخر، لكني أردتُ هنا أن أوضح أن عملية إعادة ترتيب المعجمات العربية التي نحن بصدد الحديث عنها لا تخرج عن التحويل من طرق الترتيب السابقة وإليها، ولذا قدمتُ بهذه السطور.

أما عن الظاهرة نفسها فسأحاول الآن استعراض المعجمات التي خضعتْ لإعادة الترتيب منذ بدايات الصناعة المعجمية العربية، وحتى كتابة هذه السطور – ما وسعني ذلك– وأثبتُ منها ما وصل إلينا، وما لم يصل، مما نصتْ عليه بعضُ المراجع.

وقد ارتأيت بعد فحص محاولات إعادة ترتيب المعجمات العربية، أن أتجاوز ترتيبها الزمني– لأن ذلك يغنيني عنه ذكر سنة وفاة صاحب المحاولة– إلى تقسيم تلك المحاولات – من حيث اختلاط الترتيب بغيره من أشكال التصرف أو تفرده – إلى قسمين كبيرين، على النحو التالي:

القسم الأول- إعادة ترتيب المعجمات مع غيرها من أشكال التصرف:

قد لا يكتفي من يعمل على إعادة ترتيب المعجم بتلك الخطوة، بل يضيف إليها خطوات أو أهدافا أخرى يعمل من خلالها على خدمة المعجم وإخراجه بصورة مختلفة، يرى أن فيها نوعا من المناسبة للباحث أو المستعين بذلك المعجم، ومن هنا يمكن لنا في هذا الصدد الخروج بالأنماط التالية:

أولًا- إعادة ترتيب المعجم مع تلخيصه أو تهذيبه:

ومن المحاولات التي حُقق فيها هذان الهدفان، ما يلي:

١. قام محمد بن أبي الحسين العنسي – صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية، وهو أحد المهاجرين من الأندلس إلى تونس في أثناء القرن السابع– بتونس بتلخيص معجم (المحكم) لابن سيده – وهو ينتمي إلى مدرسة التقليبات

٢. الصوتية- وأعاد ترتيبه بحسب ترتيب القافية.[١]

٣. أعاد محمد بن عبد الرءوف المناوي (١٠٣١هـ) معجم (أساس البلاغة) للزمخشري - وهو مرتب بحسب الألفبائية- على نظام القافية، واختصره مسميًا إياه (إحكام الأساس).

٤. وللزاوي أيضًا (مختار القاموس)، اختصر فيه القاموس المحيط ورتبه على طريقة الألفبائية. طبعته الدار العربية للكتاب بليبيا – تونس.

٥. أخرج مجموعة من العلماء (لسان اللسان تهذيب لسان العرب) وكما هو واضح من الاسم فإنه لاختصار لسان العرب، لكنّ هؤلاء المهذبين أعادوا ترتيب المواد المختصرة بحسب الألفبائية العادية، وأصدرته دار الكتب العلمية- بيروت في طبعته الأولى عام ١٩٩٢م.

ثانياً- إعادة ترتيب المعجم مع الانتقاء منه:

مما أراه فرقا بين هذا النوع وسابقه أن كليهما عبارة عن الاقتصار على جزء من المادة المعجمية، لكن الانتقاء هنا مقنن بمواد معينة يجمعها حقل دلالي واحد، وليكن الأبنية في مثل معجم (غوامض الصحاح) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ) وهو من المحاولات التي عملتْ على إعادة ترتيب بعض مواد الصحاح، فهذا الكتاب " لم يقدِّم جديدًا من حيث مادته، لكنه يُقدِّم جديدًا في دراسة تاريخ ترتيب المعجمات؛ لأنه اتبع ترتيبًا جديدًا في معجم لغوي، وهو ترتيب لم

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون (١١٣٣/٣) لعبد الرحمن بن خلدون، تح: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، سابعة، ٢٠١٤م. وينظر: المعجم العربي بالأندلس (٥٧) د. عبد العلي الودغيري، مكتبة المعارف – الرباط، ط أولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

يسبقه إليه أحدٌ – فيما أعلم– في مجال المعجمات اللغوية." [١]

فقد استخرج الصفدي من الصحاحِ الأبنيةَ التي وجد فيها غموضا وصعوبة، بسبب احتياج الباحث في المعجم إلى رد الكلمات إلى أصولها، ومن ثم أعاد ترتيب هذه الكلمات بحسب أوائل الحروف مع مراعاة الحروف التالية بعدها، دون النظر إلى هذه الأصول، سواء أكانت ثلاثية أو رباعية أو خماسية، بمعنى أنه رتب على أوائل الكلمات دون تجريد المادة. وهنا يجمع الصفدي بين عمليتين: انتقاء لمادة بعينها هي الأبنية الغامضة، وإعادة ترتيب هذه المادة.

ثالثاً- إعادة ترتيب المعجم مع الزيادة عليه من مصادر أخرى:

يلاحظ هنا الاعتماد على المعجم المراد ترتيبه بشكل رئيس، بل والنص عليه في عنوان المعجم بشكله الجديد، ومما حُقق فيها هذا الهدفان، ما يلي:

١. أعاد محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد اللطيف السبكي معجم (مختار الصحاح) للرازي بحسب الألفبائية، وسميا كتابهما (المختار من صحاح اللغة)، وكان هذا الترتيب اختيارًا لهما من بدائل متعددة وضحاها في مقدمة معجمهما.[٢] وقد طبعته لهما مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

---

(١) ينظر: مقدمة تحقيق غوامض الصحاح (٩) تح: د. عبد الإله نبهان، مكتبة لبنان ناشرون– لبنان، ط أولى ١٩٩٦م.

(٢) يقول المؤلفان: " ثم ترددنا في أمر آخر يرجع إلى ترتيب مواد الكتاب: أنرتبه على الحرفين الأول والثاني من أصول المادة كما صنع الزمخشري في أساسه والفيومي في مصباحه وابن الأثير في نهايته، أم نرتبه على الحرفين الأول والآخر من أصول المادة كما فعل الجوهري في صحاحه والرازي في مختاره وابن منظور في لسانه والفيروزآبادي في محيطه؟ ورأينا في آخر الأمر أن ترتيب الأولين أقرب إلى أذهان الناشئة وأسهل عليهم فتخيرناه لترتيب هذا الكتاب." ص (ز) وقد ذكر المؤلفان من قبل هذه الأسطر بأسطر أنهم اختاروا كتاب (مختار الصحاح) لكنهم ذكروا ضمن أعمالهم فيه " ثم نزيد عليه زيادات ذات بال نقتطفها من الكتب الموثوق بها."

٢. أعاد يوسف خياط ونديم مرعشلي معجم لسان العرب- وهو ينتمي إلى مدرسة القافية- بحسب طريقة الألفبائية، وأضافا إليه مصطلحات علمية وفنية أقرتها مجامع لغوية، وأصدرته لهما دار لسان العرب في بيروت عام ١٩٧٠م، بعنوان (لسان العرب المحيط).

٣. أعدَّ كلٌّ من نديم المرعشلي، وأسامة المرعشلي، وعادل المرعشلي معجمَ (إيضاح مختار الصحاح)، وتم نشره سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧ بدار البشائر- دمشق، ويعد هذا المعجم إحياءً لمختار الصحاح على طريقة جديدة اعتمد فيها معدوه على إكمال الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وإتمام الأبيات الشعرية، مع إضافة بعض الشرح لما غمض. وبيت القصيد هنا أنهم أخرجوا المعجم مرتب ترتيبا ألفبائيا، على ما اشتهر مؤخرًا من ترتيبه.

٤. أعاد د. رياض زكي قاسم ترتيب معجم (تهذيب اللغة)، ونشرته له دار المعرفة بلبنان، في طبعته الأولى، عام ٢٠٠١، في أربعة مجلدات، وقد ضمَّن المحققُ هذه الطبعة المعاد ترتيبها ما جاء في كتاب (فوائت التهذيب) ضمن المواد المستدرك عليها.

رابعاً- إعادة ترتيب المعجم مع اختصاره، والزيادة عليه من مصادر أخرى:

من المحاولات التي عملت على تحقيق هذه الأهداف الثلاثة، محاولة المطرزي (٦١٠هـ) حيث ألف " أولا كتابه المطول (المعرب) بالعين المهملة، وهو الذي لم يصل إلينا- ثم اختصره وهذبه ورتبه على حروف المعجم، وسماه (المغرب في ترتيب المعرب).. مضيفا إليه فوائد وزيادات استمدها من مصادر مختلفة." [١]

(١) ينظر: مقدمة تحقيق المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي(١٠)، تح. محمود فاخوري- عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد- سوريا، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ومنها أيضا الصحاح في اللغة والعلوم (تجديد صحاح الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية)، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي- دار الحضارة العربية- بيروت ١٩٧٤ في مجلدين.

أما فيما يخص إعادة الترتيب فاستبدل معيدو المعجم بنظام القافية الترتيب الهجائي على أوائل الكلمات، وأما فيما يختص بالاختصار فحذفوا ما فيه من قضايا صرفية ونحوية، وكلمات الضبط بالوزن؛ للاستغناء عن هذا بالحروف المشكولة، مما وفرته نظم الطباعة الحديثة. وكذلك اختصروا بعض الشواهد الشعرية.

وأما فيما يخص الزيادة فقد ضموا إليه بعض المصطلحات اللغوية والعلمية مندرجة بحروف أصغر في مواد المعجم نفسها أو مستقلةً بحسب ورودها دخيلةً أو معربةً، مع الإشارة إلى مصادرها.

خامساً- إعادة ترتيب المعجم ودمجه مع معاجم أخرى:

وما يفرق هذا النوع عن سابقه أن المعجم المراد إعادة ترتيبه يعدّ جزءا غير رئيس في عملية الدمج، بالإضافة إلى النص عليه في عنوان المعجم الجديد، وأمر ثالث أن عملية الإعادة تابعةٌ لعملية الدمج، وليست مقصودة في حد ذاتها، لكن ما يهمنا هنا أن هناك إعادة لمادته ليتواءم مع مواد المعجمات الأخرى، ومما ينتمي إلى هذا النوع هاتان المحاولتان الآتيتين:

١. يعد ابن منظور (٧١١هـ) في معجمه (لسان العرب) ممن حاولوا إعادة المعجمات ، وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة، حيث إنَّ من مصادره معجميْ: (تهذيب اللغة) للأزهري و(المحكم) لابن سيده، اللذين ينتميان إلى مدرسة التقليبات الصوتية، وقد ضمنهما ابن منظور معجمه بعد أن نثر مادتهما على

حسب طريقة الصحاح التي ارتضاها.[1] وقد وصف التهذيب والمحكم بأنهما " من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق. غير أن كلا منهما مطلبٌ عسر المهلك، ومَنهَلٌ وعر المسلك..." [2] مما كان دافعًا إلى إعادة دمجهما مع مصادره الأخرى التي كون منها مادته المعجمية. ولا يخفي علينا أن عملية النثر السابق الحديث عنها جعلت ابن منظور يعمل على إعادة توزيع المواد في كلا المعجمين إلى طريقة القافية التي ارتضاها إطارًا خارجيًّا لترتيب معجمه.

٢. وكذلك الفيروزآبادي (٨١٧هـ) في معجمه (القاموس المحيط) فقد صرح في مقدمته بتضمين المعجم خلاصة ما في (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده، و(العباب الزاخر واللباب الفاخر) للصغاني، وذلك في قوله:".. وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد، مطروح الزوائد، معربا عن الفُصَحِ والشَّوارد.. وضمنته خلاصة ما في (العباب) و(المحكم) وأضفتُ إليه زيادات مَنَّ اللهُ بها وأنعم، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة.. وأسميته: (القاموس المحيط)؛ لأنه البحر الأعظم." [3]

وشاهدي هنا أن الفيروزآبادي أعاد ترتيب مادة معجم (المحكم) على وجه الخصوص؛ لتتواءم مع الترتيب الذي ارتضاه لمعجمه، وهو ترتيب الصحاح

---

(١) لم أجعل (مقاييس اللغة) من ضمن هذه المحاولات مع أنه مثل اللسان كانت له مصادر خمسة اعتمد عليها، لكنّ ابن فارس لم يصرح – كما فعل ابن منظور – بأنه سيكون مجرد ناقل وجامع لما في هذه المصادر – بغض الطرف عن نجاحه في تحقيق هذا الشرط أو لا.

(٢) مقدمة لسان العرب (٧) لابن منظور، ط دار صادر – بيروت، ط ثانية، دون تاريخ.

(٣) مقدمة القاموس المحيط (٢٧) الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

للجوهري، ومن بعده العباب أيضًا، وإن كانت الإعادة – أيضًا– تمت بطريقة غير مباشرة، لكنها وردتْ ضمن عمليات تصنيف (القاموس) وإخراجه بالصورة التي وصل بها إلينا.

القسم الثاني: إعادة ترتيب المعجمات فقط:

في هذا القسم عَمَدَ معيدو ترتيب تلك المعجمات إلى تحقيق هدف واحد، يتمثل في تحويل نظام الترتيب الخارجي للمعجم– وإن صاحَب ذلك بعض العمليات المحدودة كحذف بعض الكلمات أو إضافة بعض آخر– ذلك التحويل الذي يختلف به انتماؤه المعجمي بحسب المدارس– على نحو ما أسلفنا– وهاك بيان محاولات هذا النوع:

١.من المحاولات الأولى لإعادة ترتيب المعجمات ما فعله البرمكي (وهو معاصر للجوهري) في معجمه (المنتهى في اللغة)، حيث إنه لم يؤلِّف معجمًا، ولكنه ابتكر منهجًا عُدَّ غريبًا، حيث أعاد ترتيب معجم الصحاح للجوهري بحسب حروف الألفبائية، وزاد فيه أشياء قليلة. [١] ولكونها قليلة ذكرته في هذا القسم.

٢.أعاد الأستاذ محمود خاطر (١٣٦٣هـ) ترتيب (مختار الصحاح) – وهو ينتمي إلى مدرسة القافية، لكونه تهذيبا لصحاح الجوهري، وهو رائد هذه المدرسة كما يذهب كثيرون– بحسب الطريقة الهجائية العادية، وذلك بتكليف من وزارة المعارف

(١) ينظر: مقدمة الصحاح (٨٩) بتصرف. ويضيف عبد الغفور عطار: " وقد رأيتُ جزءا منه في مائة ورقة بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدي الخربوطلي أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله بالمدينة المنورة– وقد توفى رحمه الله وغفر له– فألفيته مرتبا مثل ترتيب المعجمات الحديثة."

وممن وصف هذا الترتيب بالغرابة ياقوت الحموي بقوله :" وأغرب في ترتيبه" معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٢٤٣٧) تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط أولى ١٩٩٣م.

العمومية في مصر.[1] مع حذف ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء، أي أنها عبارة عن كلمات محدودة لا تضر ببنية المعجم الأصلي.

٣. أعاد طاهر أحمد الزاوي ترتيب (القاموس المحيط) – وهو ينتمي إلى مدرسة القافية– على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، أي: الطريقة الهجائية العادية، مُسميًّا عمله الجديد: (ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة).

٤. أعاد عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي ترتيب معجم (لسان العرب) لابن منظور، بحسب الطريقة الهجائية العادية، بتكليف من دار المعارف.

٥. أخذ الشيخ محمد النجاري المصري (المتوفى سنة ١٣٣٢هـ– ١٩١٤م)، (لسان العرب) و(القاموس) ورتبهما ترتيبًا جديدًا في معجم واحد، على نسقٍ جديدٍ غيرِ مسبوقٍ، لأنه رتَّب موادهما على الحروف الهجائية، مُهمِلًا الاشتقاق والتجريد.[2] وذكر جرجي زيدان أنه لم يُطبَع بعدُ.[3]

٦. أعاد علي العسكري، وحيدر المسجدي ترتيب (مقاييس اللغة) لابن فارس، بتحقيق عبد السلام هارون– وهو ينتمي إلى الهجائية الدائرية– بحسب الهجائية

---

(١) كان قد طبع من قبل في بولاق وخرج في مجلدين، عام ١٨٦٥م، كما حققه أحمد عبد الغفور عطار وأبقى على ترتيبه كما هو وأخرجه عام ١٩٥٧م، ثم توالت الطبعات إلى أن ارتأت وزارة المعارف إعادة ترتيبه، وطبع بعد ذلك طبعات كثيرة تبعت هذا الترتيب، دون ذكر محمود خاطر، منها ما وصف طبعته بأنها "طبعة حديثة منقحة" كطبعة دار القلم– بيروت. دون تاريخ. و" طبعة مدققة كاملة التشكيل ومميزة المداخل" كطبعة مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.

(٢) مقدمة معجم صحاح اللغة (١٧٧) بتصرف يسير.

(٣) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية (٢٤٢/٤) جرجي زيدان، دار الهلال، د.ت.

العادية، وسمياه (ترتيب مقاييس اللغة)، وطبعه مركز دراسات الحوزة والجامعة- إيران، الطبعة الأولى عام ١٣٨٧هـ.

٧. أعاد قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة- بطهران ترتيب معجم (مجمع البحرين) لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ)، وطبعته المؤسسة نفسها عام ١٤١٤هـ، والمعجم رتبه صاحبه بحسب القافية، مُتَّبعًا فيه (الصحاح) للجوهري - كما صرح صاحبه في المقدمة- مع بعض الاختلافات، خصوصًا في ضمِّه الهمزة والألف في بابٍ واحد، تيسيرًا بحسب ما يرى، لكنّ مؤسسة البعثة ارتأت أن تعيد ترتيب هذا المعجم، فقد ورد في مقدمة النشر: " وقد عمدنا نحن في طبعتنا المحققة هذه إلى ترتيب مواد الكتاب ترتيبًا جديدًا باعتماد الحرف الأول من الكلمة بدلًا من حرفها الأخير، لما تميزت به هذه الطريقة من يسرٍ وسهولةٍ في الحصول على المطالب." (١)

٨. أعاد د. عبد الحميد هنداوي معجم (العين) للخليل بن أحمد، وهو رأس مدرسة التقليبات الصوتية، بحسب الطريقة الهجائية، وأصدرته له دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، في طبعته الأولى عام ١٤٢٤- ٢٠٠٣م.

٩. وأعاد د. داود سلوم ود. داود سلمان العنبكي، ود. إنعام داود سلوم معجم (العين) بحسب الطريقة الهجائية، ونشرته مكتبة لبنان ناشرون، في طبعةٍ أولى عام ٢٠٠٤م.

١٠. وأعاد خليل مأمون شيحا، معجم (الصحاح)، بحسب الترتيب الهجائي، وطبعته دار المعرفة للطباعة والنشر، عام ٢٠٠٥.

١١. وكذلك أعاد خليل شيحا ترتيب (القاموس المحيط) بحسب الطريقة الهجائية، ونشرته دار المعرفة للطباعة والنشر، عام ٢٠٠٥م.

(١) مقدمة تحقيق مجمع البحرين (١١) للطريحي، مؤسسة البعثة- طهران، ١٤١٤هـ.

١٢.أعاد أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد ترتيب (القاموس المحيط)، بحسب الترتيب الهجائي، وطبعته دار الحديث- القاهرة، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٣.أعاد د. محمد محمد تامر، وأنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد- ترتيب معجم (الصحاح)، بحسب الترتيب الهجائي، وأصدرته دار الحديث- القاهرة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٤.وأعاد إبراهيم شمس الدين، (القاموس المحيط)، ونشرته له شركة الأعلمي للمطبوعات، عام ٢٠١٢

١٥. وهناك محاولة لم أقف على اسم صاحبها وقد سمَّى معجمه (منتهى الأرب)، قال عنه محمد صديق حسن خان: " ومن جملة عنايتهم به [يقصد القاموس المحيط] أن بعضهم رتَّبه على نمط المصباح باعتبار الأول والثاني والثالث، وسماه منتهى الأرب، ولم يتعد ما أورده المجد."(١)

ولي بعض الملاحظات على ما يشتمل عليه هذان القسمان الكبيران من محاولات على النحو الآتي:

الملاحظة الأولى- امتداد ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات زمانياً:

يعكس الامتداد الزماني لهذه الظاهرة – بدءًا من البرمكي في القرن الرابع الهجري من خلال محاولته إعادة الصحاح في معجمه (المنتهى في اللغة) مرورًا بالقرون: السابع، والثامن، والحادي عشر، والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر- مدى أهميتها، والتنبيه على ضرورتها، والإلحاح عليها من زمن لآخر، منذ أول ظهور لها، ولعل هذا الامتداد يدل على مدى الحاجة المُلحَّة والمستمرة؛ لتيسير تعامل الباحثين والدارسين مع المعجمات العربية، وقد يرافق هذه الظاهرة غيرُها من

(١) البلغة في أصول اللغة (١١١) صديق حسن خان، مطبعة الجوائب- القسطنطينية ١٢٩٦هـ.

أشكال التصرف في المعجمية العربية كما رأينا في محاولات القسم الأول؛ لتحقيق الانتفاع الأمثل بتلك المعجمات ، وينم ذلك عن مدى التقدير الذي تحوزه تلك المعجمات المعاد ترتيبها ومنزلة أصحابها عند الخالفين لهم.

الملاحظة الثانية– امتداد ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات مكانيًا:

بفحص المحاولات السابق بيانها نجد أنها تتوزع بين الكثير من البيئات الجغرافية التي تعكس أبعادًا ثقافية متعددة، نقتصر فيها هنا على التقسيم الشهير في الحضارة الإسلامية ما بين المشرق والمغرب العربيين، فنلاحظ وجودًا لهذه الظاهرة في كلا البيئتين، فأما في المشرق العربي فنجد الأعم الأغلب من المحاولات السابق ذكرها.

وأما في المغرب العربي خصوصًا الأندلس فلم تعط هذه الظاهرة الاهتمامَ الكبيرَ، اللهم إلا محاولة العنسي السابق ذكرها.

ولعل السر في ذلك يكمن في خصائص التأليف المعجمي في الأندلس ودوافعه، التي تتمثل في هيمنة معجم (العين) على الصناعة المعجمية الأندلسية هيمنةً واضحةً، تتمثل هذه الهيمنة في المستويات التالية:

- مستوى التأليف المعجمي المنتمي لمدرسة التقليبات الصوتية، كما ظهر في (البارع) لأبي علي القالي، و(المحكم) لابن سيده، و(المبرز في اللغة) لابن يونس الحجازي (٤٦٢هـ)، و(الموعب) لابن التيّاني (٤٣٦هـ).
- مستوى خدمة معجم (العين)، كاختصار الزُّبيدي (٣٧٩هـ) له، على سبيل المثال.
- مستوى نقد (العين) ونقد النقد، كالرد على ما أُخذ عليه، أو استدراك الأخطاء الواقعة فيه، وكل ذلك من جهود الزُّبيدي أيضًا.

ولذا كان هذا التأثر بكتاب العين من أهم الأسباب التي رصدها العلماء لقلة النتاج المعجمي المرتب بحسب الطريقة الهجائية أيضًا في الأندلس، يقول د. عبد

العلي الودغيري: " .. وليس هناك في نظري مبرر يمكن أن نفسر به قلة الإنتاج الأندلسي في هذا النوع من المعاجم، مع سهولته وشيوعه في الشرق منذ القرن الثالث، سوى تعليل واحد وهو طغيان اتجاه مدرسة العين، وشدة تأثير المدرسة القالية التي سعت إلى ترسيخ منهجها في التأليف المعجمي وتغليبه على ما سواه، حتى صار ذلك من التقاليد العلمية التي يأخذ بها اللغويون والدارسون." (١)

الملاحظة الثالثة– إعادة ترتيب المعجمات العربية في أعمال المستشرقين:

تثير المحاولات العربية السابق ذكرها سؤالًا أراه مهمًّا، هو: هل عُني المستشرقون بإعادة ترتيب بعض المعجمات العربية؟

يبدو أنَّ إعادة ترتيب المعجمات العربية في حد ذاتها لم تكن تشغل بال المستشرقين، أو تخدم أهدافهم من دراسة تلك المعجمات ، وإنما اتخذوا منها وسيلة في بعض الأحيان؛ لخدمة هدفهم في وضع معاجم تقابلية (ثنائية)، كما أن أعينهم كانت على المادة المعجمية العربية في المقام الأول، يقول د. عبد العزيز ابن حميد: " ولم يكن المستشرقون على منوال واحد في النظرة إلى اللغة، فقد كان منهم من اقتصر في معجمه على الفصيح دون غيره، فحذا حذو المعجميين القدماء من العرب وترجم ما في معاجمهم، مع إعادة ترتيبها على الحرف الأول." (٢)

إذًا فأنظمة الترتيب المعجمي العربية لم تكن هدفًا لدى هؤلاء المستشرقين، وإنما جاءت تابعة للمادة المعجمية المختارة لتكوين معاجمهم، خصوصًا منها ما كان فصيحًا، من خلال نقلهم ذلك عن المعجمات العربية، التي غالبًا ما كانت تنتمي إلى مدرسة القافية، فقد أشار المستشرق الفرنسي شارل بلا (Charles Pellat) إلى

(١) المعجم العربي بالأندلس (٦٢)

(٢) أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي (٢٠٤/١)

أنَّ المعجمات العربية التي رُتبت على الحرف الأخير، مثل: الصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس هي مصادر المستشرقين الذين اكتفوا- عند إعدادهم معاجم ثنائية اللغة- بإعادة تبويبها بحسب الحرف الأول، دون الفصل بين المشتقات. (١) ومن هذه المعجمات:

- معجم اللغة العربية، للإيطالي أنطونيوس جيجايوس، واستند فيه على القاموس المحيط، وطُبع في أوروبا (١٦٣٢م).

- المعجم العربي اللاتيني، وضعه يعقوب جوليوس (١٥٩٦- ١٦٦٧م) مستعينا فيه بالصحاح، وعنه يقول المستشرق الألماني مانفريد أولمان: " لم يكن قاموس يعقوب جوليوس (١٥٩٦- ١٦٦٧م) يهدف إلى الإتيان بجديد في مجال علم المعاجم، فقد اكتفى بترجمة التعليقات الواردة على الجذور اللغوية عند الجوهري والفيروزآبادي إلى اللاتينية، مع إعادة ترتيب تلك الأصول ترتيبا جديدًا.." (٢)

- معجم (مدّ القاموس) لإدوارد وليم لين (١٨٠١- ١٨٧٦م) جعل (تاج العروس) أساسا له، وكان يقابل ما فيه بـ(لسان العرب).

ويمكن تعليل عدم اعتمادهم على الترتيب العربي - المتمثل في القافية غالبًا- واستبدالهم به الترتيب الهجائي بأمرين:

أولهما: تأثرهم بالطريقة الهجائية التي اعتمدوها في ترتيب معاجمهم الغربية.

---

(١) ينظر: تاريخ اللغة والآداب العربية، (٥٠، ٥١) شارل بلا، ترجمة: رفيق بن وناس وآخرين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٩٩٧م. وينظر: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي (٢٠٤/١ هامش ١)

(٢) معجم اللغة العربية الفصحى، مانفريد أولمان (ضمن كتاب ألمانيا والعالم العربي- هانس روبرت رويمر ص ٣٢٨) نقلا عن: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي (٢٠٤/١ هامش ١)

ثانيهما: نقدهم للترتيب العربي المتمثل في القافية، من حيث صعوبته. فقد أشار فيشر إلى أن ترتيب اللسان والقاموس ونحوهما ليس حسنًا لأسباب:

" أولا- لأنه إذا كان الحرف الأخير حرف علة، فكثيرًا ما يقع الالتباس.

ثانيا- لأن الحرف الأخير يكثر ألا يكون أصليًّا، كما في (أب)، من مادة (أبو)، وفي (أخ) من مادة (أخو)، وفي (ابن) من مادة (بنو)، وفي (است) من مادة (سته)، وفي (ماء) من مادة (موه) وغيرها.

ثالثا- لأنه بهذه الطريقة يصعب ترتيب الكلمات الأحادية، كذا الكلمات الثنائية، كما نجدها من بين الحروف الدالة على معنى في غيرها، ومن بينها الضمائر.[1]

الملاحظة الرابعة- الانتماء المعجمي للمعاجم المعاد ترتيبها، والمرتبة ترتيبا جديدا:

إنَّ النظرة العُجلى للمحاولات السابقة في القسمين المذكورين لَتظهر لنا بعضًا من خصائص المعجمات التي تندرج تحت إطار ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات على النحو التالي:

أولا- المعجمات المعاد ترتيبها:

طالتْ هذه الظاهرةُ – طبقا للمحاولات المذكورة- تسعةً من المعجمات القديمة، وهي – مرتبة طبقًا لعدد مرات إعادة ترتيبها- على النحو التالي:

- القاموس المحيط [سبع مرات]
- تاج اللغة وصحاح العربية [خمس مرات].
- لسان العرب [أربع مرات].
- المحكم والمحيط الأعظم [مرتين].
- مختار الصحاح [مرتين].

(١) المعجم اللغوي التاريخي (٢٨) فيشر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط أولى، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م

- (العين) [مرتين]
- (تهذيب اللغة) [مرتين]
- (مقاييس اللغة)، (أساس البلاغة) [مرة واحد لكلٍّ منهما].

ويمكن التعليل لكثرة هذه الظاهرة في ما يتعلق بكلٍّ من: (القاموس المحيط) و(الصحاح) و(لسان العرب)؛ باشتهار ثلاثتها عبر العصور، ومختلف البيئات، ولكثرة التعويل عليها من قبل المتخصصين وغيرهم.

ويبدو أن السبب وراء تعدد محاولات إعادة ترتيب المعجم الواحد خصوصًا المحاولات الحديثة يتمثل في الجانب التجاري، حيث تريد دور النشر أن تصدر تلك المعاجم في طبعات خاصة بهم، لا أن تُضاف قيمة علمية جديدة، ويمكن تبيان ذلك من خلال عدم اعتنائهم بذكر مبررات الإعادة في ظل وجود محاولات سابقة للمعجم نفسه.

- **المدارس المعجمية**:

يلاحظ على المعجمات المعاد ترتيبها انتماءُ معظمها إلى مدرستي: التقليبات الصوتية والقافية، اللتين تعدان من أصعب المدارس المعجمية العربية، من حيث طريقة البحث، وغالبًا ما يفضل عليهما- على ما لهما من قيمة السبق والأصالة- المعجماتُ المرتبة بحسب الطريقة الهجائية؛ وهي التي استقرت عليه الصناعة المعجمية العربية في القرون الأخيرة.

- **الطرق المعاد الترتيب عليها**:

إن ملاحظة حركة إعادة ترتيب المعجمات لَتُظهر لنا أنَّ الذي يحكمها – في الأغلب- مبدأ التيسير والسهولة، ولذلك فقد وجدنا أنَّ المدرسة التي حازتْ على قصب السَّبق في هذه الظاهرة المدرسةُ الهجائيةُ، التي حُوِّل إليها كثيرٌ من المعجمات التابعة لمدرستي: التقليبات الصوتية والقافية؛ وهذا أمر طبعي حيث الانتقال فيها كان من الأصعب إلى الأقل صعوبة، مراعين في ذلك مستعملي

المعجم، الذين يرنون إلى السهولة والتيسير في طريقة البحث عن الكلمات داخل هذه المعجمات.

وقد وجدنا محاولة ترنو إلى الانتقال من درجة تبدو صعبة إلى درجة أخرى، كلها داخل الطريقة الهجائية نفسها- على سهولتها وشيوعها- تمثلت مرةً في الانتقال من الهجائية الدائرية في معجم (مقاييس اللغة) إلى الهجائية العادية، ومرةً أخرى في الانتقال من الهجائية العادية التي يراعى فيها تجريد الكلمات والاعتماد على الجذور إلى ما يمكن تسميته (الهجائية الحرة) التي لا يراعى فيها هذا التجريد، حيث توضع الكلمات كما هي، دون حذف أو تبديل أو إعادة إلى الأصل، وهو ما لُوحظ في محاولتي الصفدي في (غوامض الصحاح) والنجاري في (اللسان والقاموس).

وقد وجدنا أن بعض المعجمات تمت إعادة ترتيبها اعتمادًا على تلافي درجة من درجات الصعوبة، في مثل ما رأينا في إعادة (تهذيب اللغة) و(المحكم)، وهما ينتميان إلى طريقة التقليبات الصوتية إلى طريقة القافية، وهي طريقة وسطى بين التقليبات والهجائية.

لكن ما يرعى الانتباه حقيقةً محاولةُ المناوي إعادة ترتيب (أساس البلاغة) من الألفبائية إلى القافية، وهو كما نرى انتقالٌ من السهولة إلى الصعوبة، ولم أستطع – حتى كتابة هذه السطور- الوقوف على النسخة المخطوطة لهذه المحاولة، مع بحثي المستمر عنها، لاستقراء أسباب إعادة ترتيب هذا المعجم من خلال مقدمته، ولعل لي وقفة أخرى مع هذه المحاولة في بحث آخر إن شاء الله تعالى.

الملاحظة الخامسة:

كان بعض معيدي الترتيب هم أصحاب المعجمات المعادة أنفسهم، ولعل ذلك من أنواع عبقرية التأليف العربي، فيما يعرف بتدريج النص: وهو عبارة عن " إخراج المؤلِّف لعدة مستويات لواحد من مؤلفاته، بحيث تتدرج من التوسع إلى الإيجاز أو

العكس "[1] وهذا ما وجدناه عند أبي الفتح ناصر الدين المطرزي فبعد أن صنف كتابه (المعرب) هذَّبه في مصنف آخر سماه: (المغرب في ترتيب المعرب).

[1] عبقرية التأليف العربي (٢٦٣)

المطلب الثاني

إعادة ترتيب المعجمات العربية

(تحليلٌ ونقدٌ)

بعد أن ذكرتُ محاولات إعادة ترتيب المعجمات العربية في المطلب السابق، مُقسمًا إياها بحسب اقتران الإعادة بغيرها من أشكال التصرف، أو عدم وجود ذلك الاقتران، سأقف في هذا المطلب أمامَ هذه الظاهرة بالتحليل، موضحًا أهدافها وخصائصها، مُتبعًا ذلك بالنقد لبعض المواضع التي تحتاج إليه، والتي تتضح من خلالها بعض الآثار السلبية لتلك الظاهرة على الصناعة المعجمية.

وسأقتصر في هذا المطلب – في الأغلب الأعم من المعالجة– على دراسة بعض المعجمات المنتمية إلى القسم الثاني المعنون بـ(إعادة ترتيب المعجمات فقط)؛ لكون محاولات هذا القسم أكثر اختصاصًا بالظاهرة المدروسة، من محاولات القسم الأول الممزوجة بغيرها من أشكال التصرف، هذا من جانب، ومن جانب آخر مراعاة لمحدودية المساحة المتاحة لهذا البحث.

والمعجمات التي جعلتُها إطاراً لهذا المطلب، هي:

- مختار الصحاح [إعادة ترتيب محمود خاطر].
- لسان العرب [إعادة ترتيب علي الكبير وزميليه]
- مقاييس اللغة [إعادة ترتيب علي العسكري وزميله]
- العين [إعادة ترتيب عبد الحميد هنداوي، ود. داود سلوم ومن معه]
- الصحاح [إعادة ترتيب محمد تامر وزميليه، طبعة دار الحديث].
- القاموس المحيط [إعادة ترتيب أنس الشامي وزميله، طبعة دار الحديث].

وستنتظم نقاط التحليل فيما يأتي:

أوَّلًا- أهداف إعادة الترتيب المعجمي:

من المعروف أن للتصنيف والتأليف بوجه عام أهدافًا يسعى أصحابُ المصنفات والمؤلفات إلى تحقيقها، وقد لخص بعضهم أهم تلك الأهداف في الأمور التالية: « اختراع معدومٍ، أو جمع مُفتَرِقٍ، أو تكميل ناقصٍ، أو تفصيل مجملٍ، أو تهذيب مطوَّلٍ، أو ترتيب مخلَّطٍ، أو تعيين مُبهمٍ، أو تبيين خطأٍ.»(١)

ويبدو أن الظاهرة التي ندرس أهدافها في هذه السطور تندرج تحت هدف (ترتيب مُخلَّط)، وإن كان لنا أن نعدل في العبارة فسنقول: (إعادة ترتيب)؛ لتشمل الحالات التي في مادتها اختلاط من نوعٍ ما، أو التي يحمل ترتيبها نوعًا من الصعوبة، بناءً على عدم خبرة الباحثين ومعرفتهم بالأمور التصريفية – على سبيل المثال– في مثل إعادة المعجمات القديمة. ولكن إذا كانت إعادة الترتيب ليست هدفًا في حد ذاتها، فما أهداف إعادة ترتيب المعجمات العربية بوجه خاص؟

أرى أن هناك من الأسباب ما دعا إلى إعادة تنظيم مادة بعض المعجمات ، وأهم هذه الأسباب يتمثل في صعوبة الترتيب الخارجي لهذه المواد– أو ما يسمى في المعجمية الحديثة (البنية الكبرى)– مما يترتب عليه صعوبة الوصول إلى المواد أو الكلمات داخل المعجم، تلك الصعوبة التي أدتْ إلى انصراف البعض عن المعجمات الأصيلة في العربية إلى الأقل منها أصالةً، ابتغاء سهولة الترتيب التي توفرها هذه المعجمات.

ومن خلال تتبعنا لطرق ترتيب المعجمات القديمة نجد أن مثل هذه الصعوبة ارتبطت بثلاث طرق للترتيب، هي:

---

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (٤٨) محمد جمال الدين القاسمي، قدم له الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، تح. مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

▪ التقليبات الصوتية، يقول د. عبد الحميد هنداوي عن طريقة ترتيب (العين): " ولا شك أنّ في ذلك من المشقة والحرج ما لا يخفى، مما يجعل البحث في ذلك المعجم النفيس مقصورًا على الخاصة من ذوي الهمم، ولما كان لذلك المعجم من الفائدة للعامة ما لا يقل عن فائدته للخاصة، ابتغينا تسهيله وتذليله لهم بإعادة ترتيبه على هذا الترتيب الذي اعتادوه في المعجمات الحديثة على حروف الهجاء.." [(١)] وتقول لجنة ترتيب معجم العين الذي نشرته لبنان ناشرون عن ترتيب المعجم: " .. وهذا البناء كان إحدى الصعوبات أمام استخدام هذا المعجم، والإفادة منه في الدراسات الأدبية واللغوية والمقارنات العلمية " [(٢)] ومن الواضح أن صعوبة البحث في (العين) تتأتى من اعتماد الخليل على الترتيب الصوتي، وهو أمر يحتاج من الباحث فيه إلى خبرة ودراية بذلك الترتيب وفلسفته.

▪ القافية، والصعوبة في القافية تنبثق كما رأى البعض أن الزيادة والتبديل يكثران في الحروف الأخيرة، مما يصعب معه تمييز الأصلى من الزائد، ومن ثم فهناك صعوبة تلازم طريقة القافية تتمثل في اعتبار الحروف الأصلية للكلمات، مما يترتب عليه ذلك من علل الاشتقاق وعوارض الإدغام والإعلال..إلخ. [(٣)] وسبق أن ذكرنا

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب العين- مرتبا على حروف المعجم (٤) للخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب العين- معجم لغوي تراثي (ز) للخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب ومراجعة د.داود سلوم، ود. داود سلمان العنبكي، ود. إنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر: مقدمة مختار الصحاح (ج) لأبي بكر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار المعارف، د.ت. ومقدمة ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة (٤) للطاهر الزاوي، دار الفكر، ط ثالثة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م. ومقدمة لسان العرب =(٦/١)

حديث المستشرق الألماني فيشر عن ذلك، ولهذه الأمور فإن معظم المعجمات المعاد ترتيبها في المحاولات السابق ذكرها تنتمي إلى مدرسة القافية.

واكتفت بعض هذه المحاولات بالقضاء على صعوبة الترتيب الخارجي، دون المساس باعتبار الحروف الأصلية في هذه المواد مع صعوبة ذلك أيضا.

بينما خطى الزاوي في إعادته ترتيب القاموس خطوة أخرى عمل من خلالها على تلافي الصعوبتين معا، وذلك بأن أعاده على الترتيب الهجائي، مع اعتبار حروف الكلمة المنطوق بها، لا فرق بين زائد وأصلي.

- الهجائية الدائرية، ومن المعروف أن ابن فارس هو من طَبَّق هذه الطريقة في معجميه (المقاييس والمجمل)؛ وقد أقر معيدو ترتيب المقاييس في معرض حديثهما عن مسوغات إعادة الترتيب بصعوبة البحث عن الكلمات تبعا لهذه الطريقة فقالا: ".. نعم لم يكن أسلوبه سهلًا، بل نحا فيه أسلوبًا معقدًا لا يتيسر معه الوصول إلى المطلوب لبعض المحققين فضلًا عن عامة الناس."[1]، وقد كان هذا الترتيب مرمى لسهام النقد المعجمي، فذكر د. حسين نصار- على سبيل المثال- أن من أهم ما يؤخذ على المقاييس وكذا المجمل صعوبة ترتيبه بالرغم من اتباعه الألف باء، لكنه أغرب فالتزم بدء كل حرف به حين يتألف مع ما

لابن منظور، تح. عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، دار المعارف، د.ت. مقدمة تحقيق القاموس المحيط – مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف (٦) للفيروزآباي، راجعة واعتنى به: أنس الشامي وزكريا جابر، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(١) مقدمة إعادة ترتيب مقاييس اللغة (٤) علي العسكري، وحيدر المسجدي، طبعة مركز دراسات الحوزة والجامعة- إيران، الطبعة الأولى عام ١٣٨٧هـ.

بعده. [١]

ومن الواضح أيضا أن الطريقة الوحيدة التي ارتضاها معيدو ترتيب المعجمات ورأوها أكثر سهولة هي الهجائية العادية. وقد سوغ بعضهم اللجوء إليها بأنَّ هذا الترتيب هو ما درجت عليه المعجماتُ الحديثة، والأكثر رواجًا بين مستعملي المعجمات المعاصرين.

ومن الواضح أيضًا أن أهداف الكثير من هذه المحاولات كانت تعليميَّة، أو حضارية وثقافية، ففي الهدف التعليمي يتم العمل على تيسير صعوبة الترتيب في المعجمات المعاد ترتيبها، ويبدو ذلك منطقيًّا إذا علمنا أن الفئة المستهدفة من معظم تلك الإعادات هم الطلبة في مراحل التعليم المختلفة، إضافة إلى طالبي العلم، والباحثين.

وقد تعدت بعضُ محاولات هذه الفئات إلى فئات أخرى لها ثقل علمي قد يلائمه هذا الهدف المذكور، أعني فئة الخاصة (على حد تعبير هنداوي) أو بعض المحققين (على حد تعبير على العسكري وزميله).

ويتضح الهدف الحضاري والثقافي على سبيل المثال، مما ورد في مقدمة محققي اللسان من قولهم: " ولما فكرت (دار المعارف) في إخراج هذا المعجم النفيس حرصتْ على ضبطه ضبطًا كاملًا، وتنقيته من الكثير مما يشوبه، وشاءتْ أن تخرج على النمط المألوف في معاجم اللغة الحديثة، ليسهل تناوله، ويضرب إلى روح العصر بسهمٍ، وينزل بثقله الضخم إلى ميدان الثقافة، ولا يكون بعيدًا عن المألوف؛ لتزداد به الفائدة، ويعم به النفع." [٢]

---

(١) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره (٣٦٣، ٣٧٥)، د. حسين نصار، مكتبة مصر، ط الرابعة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

(٢) مقدمة تحقيق لسان العرب (٨) دار المعارف.

فبجانب الهدف التعليمي الواضح في هذا العمل هناك هدف حضاري، متمثل في قولهم:" ويضرب إلى روح العصر بسهم " وهدف ثقافي متمثل في قولهم :" وينزل بثقله الضخم إلى ميدان الثقافة ".

وهكذا نرى عوامل عديدة تتضافر لإرساء دعائم ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات ، ما بين تعليمية ترنو إلى تيسير طريقة البحث في المعجمات وتذليلها أمام الباحثين، وحضارية وثقافية تعمل على اللحاق بالتطورات العصرية في مجال المعجمية على وجه الخصوص، أو قل إلباس التراث المعجمي ثوبا من الجدة والحداثة.

ثانياً- إعادة الترتيب وعنونة المعجمات:

إنَّ أول ما يقابلنا عند إعادة ترتيب معجم هو التسمية أو العنونة، ذلك أنَّ معيد ترتيب معجمٍ ما قد يكتفى بالاسم الذي وَضَعَه المؤلفُ دون زيادةٍ أو نقصانٍ؛ حفاظًا على الاسم الذي اشتُهر به بين الناس، واغتنامًا لهذا الاشتهار في ترويج عمله الجديد. وقد يعمد في بعض الأحيان إلى تغيير العنوان الذي وضعه المؤلف تغييرًا يدل على ما قام به من جهدٍ، وما أرساه من منهجٍ ترتيبيٍّ جديدٍ.

وبالنظر في كيفية تعامل معيدي ترتيب المعجمات مع عنونتها لاحظتُ أنَّ محاولات القسم الأول السابق ذكرها – في المطلب الأول من هذا البحث، والتي أتت تحت عنوان: (إعادة ترتيب المعجمات مع غيرها من أشكال التصرف)– تم تغيير عناوينها جميعا، وكأنها عملٌ جديدٌ، اعتُمد فيه بشكلٍ أساسٍ على المعجم المعاد ترتيبه.

أما محاولات القسم الثاني (إعادة ترتيب المعجمات فقط) فمن خلال النماذج التي اعتمد عليها البحثُ، وجدتُ أن تعاملهم مع عنونة المعجمات انتظم في نمطين:

النمط الأول– عدم تغيير عنوان المعجم، وهذه هي الطريقة الأكثر اعتمادًا عليها، فنجد ذلك عند كلٍّ من محمود خاطر، في تسمية (مختار الصحاح)، وعلي الكبير

وزميليه في (لسان العرب)، وهنداوي في (العين) فقد أبقى كل منهم على اسم المعجم كما وضعه صاحبه.

وقد يضيف البعض إلى هذا العنوان الرئيس عنوانًا فرعيًّا يحمل مضمون التغيير، من ذلك ما فعله: د. عبد الحميد هنداوي حيث سمّاه: (كتاب العين- مرتبًا على حروف المعجم)، وما فعلته دارُ الحديث في (الصحاح) و(القاموس)، حيث أضافتْ عنوانًا فرعيًّا فيهما، هو: (مرتب ترتيبًا ألفبائيًّا وفق أوائل الحروف). في حين أن د. داود سلوم في محاولته إعادة ترتيب العين إضاف عنوانا فرعيا لكنه يحمل قيمة المعجم لا ما حدث فيه من تغيير، حيث سماه: (كتاب العين- معجم لغوي تراثي).

النمط الثاني- تغيير عنوان المعجم، وذلك بإضافة قيدٍ يدل على التغيير الطارئ على المعجم فقط، ورد ذلك في: (ترتيب مقاييس اللغة) لعلي العسكري. أو إضافة قيد في العنوان الرئيس، يدل على التغيير مع بيان الطريقة الجديدة المعتمد عليها في الترتيب)، وكذلك عند الزاوي في عنوان: (ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة)

وفي الحقيقة، أرى في هذا العنوان الأخير ثلاث هنات، هي:

الأولى- التطويل الذي لا فائدة منه، حيث كان يمكن الاستغناء عن ذكر أحد المعجمين: (المصباح المنير وأساس البلاغة) بالآخر، لانتمائها إلى مدرسة معجمية واحدة، هي الألفبائية.

الثانية- هناك غموض في العناوين، قد يصيب شريحةً من مستخدمي المعجم بالحيرة والتساؤل قائلين: وما طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة؟

وكان الأوضح من ذلك قوله: (على حروف المعجم) أو (مرتب ترتيبًا ألفبائيًا).. إلخ

الثالثة- عدم الدقة في ترتيب المعجمين تاريخيًّا - كما هو متبع في أكثر التآليف- حيث إن (أساس البلاغة) توفى صاحبُه الزمخشريُّ سنة (٥٣٧هـ)، في حين

توفى الفيومي صاحب (المصباح المنير) سنة (٧٧٠هـ)، إلا إذا قصد الزاوي تقديم الأشهر من المعجمين فيسلم له ذلك.

وقد وقع الزاوي في الهنتين الأوليين مرة ثانية في مؤلَّفه الذي سماه (مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير).

لكنه قدّم (مختار الصحاح) على (المصباح المنير)، وهو في ذلك مُوفق؛ لأن الرازي توفى سنة (٦٦٦هـ)- والفيومي بعده بقرن وعقد، على ما ذكرنا في السطور السابقة.

لكنّ الزاوي وقع – هنا- في مخالفة أخرى، تتمثل في خطئه أو عدم دقته في الانتماء المعجمي لمختار الصحاح؛ حيث إنه ينتمي في الأصل إلى مدرسة القافية؛ لاختيار مادته من معجم (الصحاح)، المعجم الأشهر في هذه المدرسة، والذي يعد مؤلفُه رأسَها، وإنما أعيد ترتيب معجم (مختار الصحاح) على الهجائية العادية بعد ذلك بحسب ما هو معروف وما أوردناه ضمن المحاولات في بداية هذا البحث، فالأدق حينما نتحدث عن ترتيب (مختار الصحاح) أن ننسبه إلى القافية، لا إلى الهجائية، حتى وإن اشتهر بالترتيب الأخير، اعتمادًا على تصنيف صاحبه وهدفه من وراء هذا المصنَّف، ومحافظةً على البعد التأريخي للمعجمية العربية ومصنفاتها.

وقد وجد البعض في إعادة ترتيب (معجم الصحاح) إساءة لهذا المعجم، وود لو غيروا عنوانه، يقول أحمد عبد الغفور عطار: " فكرتْ وزارة المعارف المصرية في طبع (مختار الصحاح) فأفسدتْ جوهره، وغيرتْ نظامه، واستبدلتْ به ما يجدر أن يكون كتابًا آخر، وزعمت أنه مختار الصحاح، ومن الغريب أن تزعم أنه هو نفسه (مختار الصحاح) وما أدري كيف يكون ذلك بعد أن غيَّرت ترتيبه ليكون موافقًا ترتيب (أساس البلاغة) للزمخشري، و(المصباح المنير) للفيومي، والمعجمات الحديثة، وحذفتْ الوزارة ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء، وكان أولى بالوزارة

أن تغير اسم الكتاب وتخلع عليه اسمًا جديدًا، إذ ليس من الأمانة أن يحدث الناشر تغييرًا جوهريًّا في كتاب، ويتصرف في ترتيبه ونظامه ومواده، ويحذف ما يريد، ثم يستبقي اسمه واسم مؤلفه الذي اعتُدِي على حقه وسُلِبَه." (١)

وممن ذهب إلى ضرورة تغيير عنوان المعجم عند إعادة ترتيب مواده أستاذُنا د. عبد الله ربيع في قوله: " وإني لآسف- ولعل غيري يشاركني في هذا الأسف- عندما أرى هذا العمل المنسوب إلى صاحبه وباسمه الذي وضع له على غير صورته التي هدف إليها وأرادها لعمله. وقد كانت الطبعة التي أصدرتها دار المعارف بالقاهرة [للسان العرب] أخيرًا على هذا النحو المحور المغير. وأظن أننا لسنا في حاجة إلى القول بأنه لا بأس من إعادة ترتيب أي معجم، لكن يجب أن يشار إلى ذلك باسم يعلن عن الواقع على نحو ما فعل الزاوي.." (٢)

وفي الحقيقة، فإن هذا التفضيل يقوم على شقٍّ واحدٍ فقط هو موضوع العنونة، دون رفض الفكرة نفسها، وهو ما نلمسه من قوله: " لا بأس من إعادة ترتيب أي معجم" في حين أنه لم يحبذه عند حديثه - في موضعٍ سابقٍ من كتابه- عن لسان العرب طبعة دار المعارف، واعتمد في ذلك على معيار الحجم الكبير الذي لا يجوز فيه هذا النوع من التصرف، قائلا: " وفي تصوري أن هذا إذا جاز في معجم صغير، مثل: مختار الصحاح الذي وضعه الرازي.. فإنه لا ينبغي أن يجوز في معجم كبير، مثل (لسان العرب)، له قدره وقيمته التاريخية." (٣)

وقبل أن أنهي حديثي عن هذه الجزئية الخاصة بالعنونة، أرى - عند إرادة إعادة ترتيب معجمٍ ما- أنه من الأوفق أن نُبقي على الاسم الأصلي للمعجم، مع إضافة

(١) مقدمة تحقيق الصحاح (٢٠٣).

(٢) المعجم العربي بين النظرية والتطبيق (٤٣، ٤٤)

(٣) المعجم العربي بين النظرية والتطبيق (٤٣)

عنوان فرعي يدل على التصرف في الترتيب؛ إثباتا للتغيير الجديد وحدوده من جهة، وإبقاءً على العلاقة بين العملين الأصلي والمُغيَّر من جهة أخرى، وتفريقًا بينه وبين الصورة الأولى للترتيب الأصلي للمعجم كما وضعه صاحبه من جهة ثالثة.

ثالثًا- إعادة الترتيب ومقدمات الإعادة:

وجدنا في أغلب محاولات إعادة ترتيب مواد المعجمات أنَّ معيدي المعجم يقدمون بين يدي أعمالهم بمقدمة يوضحون فيها أمورًا، رصدنا منها:

- أهمية المعجم المراد إعادة ترتيبه ومنزلته في المعجمية العربية.
- بيان صعوبة نظام الترتيب الأصلي للمعجم، والمراد التحوُّل عنه إلى ترتيبٍ آخر.
- بيان السبل التي رآها هؤلاء المعيدون لتيسير مثل هذه الصعوبات، والمتمثلة في إعادة الترتيب وحدها أو إضافة أوجه أخرى من التصرف.
- بعض ملامح المنهج الذي ساروا عليه، وحدود التصرف في متن المعجم.

وقد أشار بعضهم إلى أن المقدمة التي صدر بها المعجم الجديد " لا غنى عنها لكل من يطالع هذا الكتاب" [1]

[1] الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية- مرتب ترتيبا ألفبائيا على حروف المعجم (١٥) الجوهري، راجعه واعتني به: د. محمد محمد تامر، أنس الشامي، زكريا جابر، ط دار الحديث- القاهرة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

وسأكتفي هنا بنموذجين من هذه المقدمات:

- **مقدمة إعادة ترتيب (مختار الصحاح):**

يقول الشيخ محمود خاطر مُبَيِّنًا أهمية المعجم: إن " كتاب مختار الصحاح قد جمع من مفردات هذه اللغة العربية الشريفة، وقيودها ما ترمي إليه حاجة المبتدئين في طلب العلم وتحصيله، ويبلغ بهم الغاية فيما يرومونه من تحرير صيغ الألفاظ، وأوزانها، وتعريف مدلولاتها؛ مما جعل له بين جماعة المتأدبين وأهل اللسان مكانًا غير مدفوع. وبه صَعَدَ صاحبُه المقامَ الذي لم يبلغه سواه، ممن تصدوا لاختصار الصحاح كالزنجاني، وابن الصائغ الدمشقي، وغيرهما من كبار العلماء." (١)

وأردف ذلك بتوضيح صعوبة البحث فيه، والاحتياج – في سبيل التغلب على ذلك– إلى معرفة قواعد التصريف، والاشتقاق من: إبدال، وإعلال، وغيرهما مما لا يستطيعها المبتدئ، قائلا: " بيد أن الخوض في هذا الكتاب وتناول الغرض منه لا يستطيعهما إلا من تدبر فن الصرف وأحاط علما بضروب الاشتقاق.. على أن الاشتقاق وما يلحق أبنية المشتقات من عوارض الإدغام والإعلال وما يتصل بهما من أشد الأمور التباسا في هذه اللغة.." (٢)

وأضاف إلى بيان هذه الصعوبة بيان واحدة أخرى تتمثل في اتِّباعه نظام الترتيب بحسب أواخر الكلمات (القافية) ثم وضح أنَّ عمله في الكتاب سيعتمد على أسس ثلاثة:

أوَّلًا– اعتبار الحرف الأول والثاني، كما في ترتيب المصباح للإمام الفيومي.

ثانيًا– أنْ تُرَدّ إلى كل مادة مشتقاتُها، التي يصعب على الطالب ردُّها إليها.

---

(١) مقدمة إعادة ترتيب مختار الصحاح (ج)

(٢) السابق الصفحة نفسها.

ثالثًا- حذف ما لا ينبغي أنْ يطرق مسامع النشءِ، بشرط المحافظة على أصل الكتاب. [١]

- **مقدمة إعادة ترتيب (مقاييس اللغة):**

بَيَّن مُعيدَا ترتيب معجم (مقاييس اللغة) مكانته ومنزلته في المعجمية العربية، من حيث عمل ابن فارس فيه على " إرجاع الهيئات المشتقة من أصل واحد إلى أصول معانيها، وبذلك يتضح معنى الألفاظ والهيئات التي لم تذكر في كتب اللغة.. والإنصاف أنه قد أبدع في ذلك، وفاق أقرانه فيه، فكان كتابًا قيمًا، وأثرًا فريدًا."[٢]

ووضحَا اشتمال طريقة البحث فيه على صعوبة تصد الناس عن الانتفاع به، تتمثل في أنه " لم يكن نظمه سهلًا، بل نحا فيه أسلوبًا معقدًا لا يتيسر معه الوصول إلى المطلوب لبعض المحققين، فضلًا عن عامة الناس، فبقي مطمورًا في زوايا المكتبات، تعلوه طبقات الغبار، حتى طبع في مصر طبعة محققة بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، وجعل لها الفهارس الفنية للتسهيل على القارئ في رجوعه للمواد. لكنه لم يحسم الداء، بل بقى الكتاب بعيدًا عن متناول الباحثين والمحققين للمؤونة في ذلك." [٣]

ومن ثم فقد شرعَا في تسهيل ذلك بترتيب الكتاب ترتيبًا جديدًا وفق الرائج في كتب اللغة المعاصرة، وقام عملهما في المعجم على أسسٍ، اذكر هنا منها ما يخص إعادة الترتيب كالآتي:

---

[١] ينظر: السابق (د)

[٢] مقدمة إعادة ترتيب مقاييس اللغة (٤)

[٣] السابق الصفحة نفسها.

أوَّلًا- ترتيب المواد ترتيبًا ألفبائيا.

ثانيًا- بما أن الألفاظ المشروحة في باب الرباعي والخماسي عارية عن المادة في أصل الكتاب، أضفنا لها المواد المناسبة مع جعلها داخل معقوفين؛ تمييزًا لها عن المواد الأصلية. كل ذلك بعد الاطمئنان منها بالرجوع إلى كتب اللغة.

ثالثًا- صححنا الإرجاعات المذكورة في الهوامش؛ طبقًا للترتيب الجديد.[1]

إن مثل هذه المقدمات من الأهمية بمكان عند إعادة الترتيب، ذلك أنها توقف القارئ على أسباب التغييرات التي سيحدثها معيد الترتيب، وعلى منهجه الذي سيطبقه في تلك الإعادة، وغيرها من الأمور التي لا تقل أهمية – في رأيي- عن عناصر مقدمة المصنِّف نفسه.

رابعًا- إعادة الترتيب وتغيير المقاصد المعجمية:

من المعروف أن لأصحاب المعجمات مقاصد وضعوها نصب أعينهم عند تصنيف معاجمهم، كانت هذه المقاصد – مع بعض العوامل الأخرى- سببًا من أسباب تعدد المدارس المعجمية، وكذلك تعددتْ هي نفسها داخل المدرسة الواحدة، ولذا تجد اختلافاتٍ واضحةً بين كثير من المعجمات ؛ ففي حين تعنى بعض المعجمات بحصر ألفاظ اللغة كـ(العين) للخليل، تجد (تهذيب اللغة) كما هو واضحٌ من تسميته يُعنى بذكر الصحيح من اللغة، وترك الشاذ، والنادر، والحوشي،.. إلخ من الاختلافات، ومن المفترض أن تكون المحافظة على هذه المقاصد ماثلة أمام أعين معيدي المعجمات ، لرعاية الأهداف التي وضعها لأجلها مصنفوها.

لكننا عند فحص محاولات إعادة المعجمات نجد أنها لا تقف عند حدود متن المعجم أو المواد المكونة له، وإنما تصاحبها أيضًا عملياتُ إعادةٍ أخرى، منها إعادة تحديد المقاصد التي من أجلها وَضَعَ المصنفُ معجمَه.

---

(١) ينظر: مقدمة إعادة ترتيب مقاييس اللغة (٤)

كما قد يصاحب هذا التغيير في مسار مقاصد المعجم تغيرٌ في تحديد الفئة المستهدفة التي ستتعامل مع المعجم، فبدلًا من أن يكون المَعْنِيُّ بالمعجم- سواء المنتمي إلى مدرسة التقليبات أو القافية- المتخصصَ العارفَ بأسرار الأصوات والتصريف أو المثقف الذي لديه دراية بأحدهما، روعيتْ فئة أخرى تمثلت في القارئ العاديِّ، الذي لا علم له في التعامل مع المعجمات إلا النظر في أوائل الكلمات وثوانيها، أو ما يعرف بالطريقة الهجائية العادية.

ويتضح ذلك على سبيل المثال من خلال مقارنة الفئة المستهدفة التي من أجلها صَنَّف الرازي معجمه (مختار الصحاح) بترتيبه الأصلي (القافية)، والفئة التي من أجلها أعادتْ دارُ المعارف ترتيبه، فقد استهدف الرازي شريحة عُليا من المستفيدين، حَدَّدَهم بقوله: ".. واقتصرتُ فيه على ما لابد لكل عالمٍ فقيهٍ، أو حافظٍ، أو محدِّثٍ، أو أديبٍ من معرفته وحفظه، لكثرة استعماله وجريانه على الألسن، مما هو الأهم فالأهم، خصوصًا ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية.."[1] بينما حَدَّدَها معيدُ ترتيبه محمود خاطر بأنَّهم الطلبةُ والنشءُ، بقوله: " .. أن يستتمَّ الفائدة من الكتاب، وأن يسهّل على الطلبة تناوله... مع حذف ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء.." [2]

وفيما يتعلق بتضييع بعض المقاصد المعجمية، في المعجمات المعاد ترتيبها - موضع الدراسة- فقد وجدنا لهذا التضييع بعض المظاهر، منها:

١) تفويت أحد مقاصد المدرسة المعجمية:

من المعروف ذهاب بعض العلماء إلى أن من أهداف مدرسة القافية في إيثارها الترتيب بحسب أواخر الكلمات، إفادة الشَّاعر في مراعاة القافية والناثر في مراعاة

(١) خطبة مختار الصحاح (هـ).

(٢) مقدمة معيد ترتيب مختار الصحاح (د).

السجع[١]، وممن ذكر ذلك د. إيميل يعقوب، حيث ذكر أن من أهدافهم " المساعدة على نظم الشعر الذي يتطلب وحدة القافية، وعلى النثر الفني الذي من أهم خصائصه السجع في تلك الأيام." [٢]

وبالتالي فإن إعادة ترتيب بعض المعجمات المنتمية إلى مدرسة القافية يذهب بهذا الهدف، من حيث إعادة الترتيب الذي غالبًا ما يكون على أوائل أصول الكلمات، وبالتالي تتفرق كل الكلمات المقفاة بالباء مثلا بين الأبواب الأخرى المبدوءة بالهمزة المنتهية بالياء.

٢) تفويت أحد مقاصد صاحب المعجم، ومن ذلك:

أ- ما فعله معيدا ترتيب المقاييس، حيث لم يراعيا عدة مقاصد وضعها ابنُ فارس، منها:

- عدم مراعاة جمعه الألفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف في موضع واحد بعد الثلاثي، مع أن ذلك يشكل أحد مقاصده التي رامها من وضع المقاييس، أعني قضية النحت، وما تضمه من ألفاظ منحوتة ضمها بجانب بعضها البعض ليخرج بتصور لهذه القضية التي يريد إثباتها، وتقعيدها، فقد تلاشى هذا الهدف عند إعادة

(١) هناك من يرى أن هذا السبب غير علمي، يقول أحمد عبد الغفور عطار:" وقد ذكر بعض العلماء أن سبب اختيار الجوهري- ومن تبعه- ترتيب معجمه على أواخر الكلمات: التيسير على الشعراء والكتّاب النظم والنثر، فالكتاب كانوا يلتزمون السجع، والشعراء القوافي، فهم في حاجة إلى الكلمات باعتبار أواخرها، أو أن غلبة السجع أو نظم القوافي هدت مؤلفي المعجمات – وعلى رأسهم الجوهري- إلى هذه الطريقة. ونحن لا نقبل هذا الرأي ونراه غير علمي، وإذا صح هذا السبب فما أهون شأن مؤلفي المعجمات، وما أضأل القصد!" مقدمة الصحاح (١٢١).

(٢) المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها (١٠٢) د. إيميل يعقوب، دار العلم للملايين- بيروت، ط الثانية، ١٩٨٥م

ترتيب المقاييس، حيث تفرقت الكلمات غير الثلاثية التي اعتمد عليها ابن فارس في القول بالنحت داخل ترتيبها الطبيعي بحسب الهجاء. وقد كان ابن فارس حريصا على بيان ذلك الهدف وتضمينه مقدمة معجمه حيث قال: " اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبًا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أنَّ أكثر ما تراه منه منحوتٌ... "(١)

وقد تحدث د. حسين نصار عن ذلك مُظهرًا منهج ابن فارس في التعامل مع هذا النوع من الكلمات، قائلا:" .. ولكنه قد يجمع بعض الألفاظ المتصلة برابطة اشتقاقية معينة، ويفصلها عن مجموعات أخرى، مثل: الألفاظ المنحوتة من لفظين، أو الثلاثية المزيد عليها حرف أو حرفان، أو الموضوعة أصلًا على أكثر من ثلاثة حروف أصلية. فيجمع كل نوع من هذه الثلاثة على حدة، مع ترتيب الألفاظ في داخل كل منها." (٢)

وقد فرقت إعادةُ الترتيب بين هذه الألفاظ المترابطة اشتقاقيا، فوزعتها على مواضع متباعدة، ومن ذلك على سبيل المثال:

في كتاب الباء في (المقاييس) جاءت مجموعة من الكلمات كأمثلة للنحت: (البلعوم- بُحْتُرٌ- بَحْثَرتُ- البَعْثَقَة- البُرْجُد.... إلخ).

وجاءت فيه مجموعة أخرى من الكلمات مزيدة بحروف: (زُرْقُم- خَلْبَن- البَحْظَلَة- البِرْشاع- البَرْغَثَة... إلخ).

وجاءت مجموعة ثالثة من الكلمات الموضوعة على أكثر من ثلاثة أحرف وضعا: (البَهُصْلَة- البخنق- البَلْعَثُ- البهكثة.... إلخ).

(١) مقاييس اللغة (٣٢٨/١)

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره (٣٤٢/٢)

وجمع هذه الكلمات إنما جاء لتوضيح انتمائها إلى إحدى هذه المجموعات، والتي تشكل ثلاثتها مذهب ابن فارس فيما زاد على ثلاثة، فهي إما منحوتة أو مزيدة بحروف أو موضوعة على ذلك وضعًا، بينما فرقتْ بينها إعادةُ الترتيب، حينما وَضَعَتْ كلا منها تحت أول حرف فيها، ذاهبة بهذا المقصد اللغوي بوجه عام والمعجمي بوجه خاص عند ابن فارس، ومُضيِّعةً له.

خصوصا أن هذا المقصد جاء نصه في الترتيب الجديد في مادة (بحتر)، يقول: "[بحتر: اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبًا.....إلخ]" (١)

واستعمل معيدا ترتيب المقاييس وسيلتين ارتأيا أنها تفيد في حل هذه المشكلة:

أولا- أنهم يكررون أمام كل كلمة من المجموعة عبارة تفيد بانتماء الكلمة إما إلى النحت، أو الزيادة أو الوضع.

لكن يبقى أن في هذا الإجراء نوعًا من التصرف في متن المعجم، لم ينص عليه معيدًا الترتيب في النقاط الثماني الواردة في مقدمة الترتيب.(٢)

ثانيًا- الإحالة في الهامش مع كل كلمة إلى موضع (بحتر)، وهو الموضع الأول الذي ورد فيه مقصد ابن فارس من ذكر هذه المجموعات من الكلمات تحت موضع واحد.

○ لم يراع معيدا الترتيب مذهبَ ابن فارس في زيادة بعض الحروف أو أصالتها، وأرى أنَّ في ذلك تفويتًا لمذهب الرجل في الأبنية، من حيث الزيادة والنقصان، خصوصا أن معظم المعجمات اختلفت معه في ذلك كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون في تعليقه على باء كلمة (البحظلة): " جعلت المعاجم الباء أصلية، فذكرت الكلمة في (بحظل) ولم تذكرها في (حظل)، وكذلك سائر ما سيذكره جعلتْ المعاجمُ

(١) ترتيب مقاييس اللغة (٦٧)

(٢) ينظر: ترتيب مقاييس اللغة (٤)

حروفه أصولا." ومن ذلك نعلم أن المحافظة على رأي ابن فارس في هذه الشأن من الأمور المهم مراعاتها، بغض النظر عن موافقة أصحاب المعجمات له أو مخالفتهم إياه.

ومن الأمثلة الكثيرة التي لم يُراع فيها هذا الأمر أكتفي بالثلاثة التالية:

- وضع معيدا الترتيب كلمة (بحظلة)- السابق ذكرها- في كتاب الباء، تحت مادة [ب. ح. ظ. ل]، مع أنَّ ابن فارس نَصَّ على زيادة الباء في قوله: " ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه، لكنهم يزيدون فيه حرفًا لمعنىً يريدونه من مبالغة.. ومن ذلك (البحظلة)، قالوا: أن يقفز الرجلُ قَفَزَان اليربوع. فالباء زائدة." [(١)] ، ومن ثم كان من المفترض وضع هذه الكلمة، في مادة (ح. ظ.ل)، مراعاة لمذهب ابن فارس في زيادة بائها.
- ومثلها كلمة (برشع) في كتاب الباء مع الراء، تحت مادة [ب. ر. ش. ع]، مع أن ابن فارس ذكر أن الراء زائدة،[(٢)] ومن ثم توضع في (ب. ش. ع).
- ومثلهما كلمة (الترنوق) تحت مادة (ت. ر. ن. ق) بعد مادة (ت.ر.ك) وقبل (ت.ر.هـ)، مع أن ابن فارس نفسه نص على أن التاء والواو زائدتان[(٣)]، وهو من الرنق. فكان يجب عند إعادة الترتيب أن يراعى ذلك، فتوضع الكلمة تحت مادة (ر. ن. ق)، خصوصًا أن ابن فارس وضعها تحت هذه المادة في مجمل اللغة. [(٤)]

---

(١) مقاييس اللغة (باب من الرباعي آخر) ٣٣٢/١

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (باب من الرباعي آخر) ٣٣٢/١

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء) ٣٦٤/١

(٤) ينظر: مجمل اللغة مادة (ر. ن. ق) لابن فارس، تح. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط. ثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م

مما سبق يتضح أن عدم اعتبار مثل هذه الأمور يفوت مذهب صاحب المعجم في الأبنية من حيث اعتبار زيادة بعض حروفها من أصالتها، وهي أمور أساسية- في رأيي- لا يمكن التغاضي عنها، أو تعديلها.

ب-إهمالُ النَّصِّ على المهمل:

لقد كان النصُّ على المهمل والمستعمل من الأمور التي عُني بها كثيرٌ من أصحاب المعجمات ، فلقد " تعددتْ مناهج أصحاب المعجمات في تتبع المهمل في كلام العرب والإشارة إليه، وكان الأساسُ لهذا الإهمال تتبعَ تقاليب الحروف للكلمات والأصول، وقد أسَّسَ لذلك الخليلُ بن أحمد، وتبعه ابنُ دريد، ثم جاءتْ المعجمات الأخرى لتنوه إلى المهمل والمستعمل في كلام العرب، كما قال عنه أهل اللغة وأصحاب المعجمات." (١)

وإلى ذلك يشير الخليلُ بن أحمد حينما تحدَّث عن نظام التقليبات، قائلا: "..والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا، وذلك أنَّ حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح، وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهًا، يُكتَب مُستعمَلُها، ويُلغى مهملُها.." (٢)

ومن المعروف أن نظام التقليبات مراعيا كل حروف الكلمة كان معينا على استيعاب اللغة بطريقة حصرية، ومن ثم ينبني عليه القول بالإهمال والإعمال، ولذا ورد في صدر (العين) " هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري- رحمة الله عليه- من

(١) ظاهرة المهمل في معاجم اللغة (٥٠) د. عمر فارس الكفاوين، بحث منشور بمجلة جسور المعرفة، العدد ٨، سنة ٢٠١٦، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب- جامعة الشلف- الجزائر.

(٢) مقدمة كتاب العين (٥٩/١) للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكملت به، فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء." [١]

وعند فحص المعجمات المعاد ترتيبها- موضع الدراسة- وجدتُ إهمال بعضها الواضح للنَّصِّ على المهمل في كثير من المواضع، فقد نصَّ الخليل – على سبيل المثال- على بعض التقليبات المهملة، من مثل قوله: (ع ق هـ، ق ع هـ مهملان)، (ط ع ب، ب ط ع مهملان)، (هـ ل ز، ل ز هـ مهملان) [٢] بينما لم يرد ذكرٌ لهذه المهملات أو إشارة إليها في مواضعها من معجم (العين) المعاد ترتيبه؛ وذلك نتيجة لِتفرُّق المواد بين جنبات المعجم، بعد انفراط عقد التقليبات التي كانت أساسًا من الأسس التي قام عليها هذا المعجم، ابتغاءَ حصر ألفاظ اللغة.

وبالنسبة لإعادة ترتيب (المقاييس) فهناك أبواب نصَّ ابن فارس على إهمالها، ففي تحقيق عبد السلام هارون وردت هذا العناوين: (باب الهمزة والعين وما بعدهما في الثلاثي: مهمل) و(باب التاء والشين وما يثلثهما: مهمل) و(باب التاء والغين وما يثلثهما: مهمل)[٣] بينما لم ترد هذه العناوين – بما تحمله من دلالات لغوية – في المعجم عند إعادة ترتيبه.

وأرى أن النص على المهمل والمستعمل كان من المقاصد التي حرص عليها كلٌّ من الخليل وابن فارس وغيرهما من المعجميين عند تصنيفهم المعجمي، وهو ما كان يجب المحافظة عليه عند إعادة الترتيب بطريقة أو أخرى.

(١) مقدمة السابق (٤٧/١)

(٢) كتاب العين (٩٦/١)، و(٢٠/٢) و(١٤/٤) تح. المخزومي.

(٣) مقاييس اللغة (١١٤/١)، و(٣٤٨/١) و(٣٤٩/١).

ج- فصلُ كلماتِ الأبنية عن بعضها:

إن مراعاة نظام الأبنية والفصل بينها ورثتها المعجمية العربية من رائدها الأول الخليل بن أحمد الذي قسَّم معجمه بحسب الأبنية إلى: (ثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي)، وكانتْ هذه الأبنية من الأسس المرعية في معجمه، وتبعه فيها كثير من أصحاب المعجمات ، لكنّ إعادة ترتيب المعجمات قد تفرض على صاحبها عدم اعتبار التقسيم بحسب الأبنية، خصوصًا في معجمٍ كالعين والمقاييس، وما يترتب على ذلك من أمورٍ، كحذف عناوين الأبواب وإعادة تسميتها.

ومما أُعدِّه من السلبيات، فيما يخص هذا الأمر، تفويتُ مذهب صاحب المعجم في الأبنية واعتبارات تقسيمها، ونحن نعلم أن الخليل – على سبيل المثال- يعد: (عق- عك- عض- عص.. إلخ) من الثنائي وافقه في ذلك غيره أو خالفوه، لكنها رؤيته لبناء ذلك النوع من الكلمات، مما كان يجب المحافظة عليه أو البحث عن طريق لتلك المحافظة في الترتيب الجديد.

ففي حين يضع الخليلُ مادة (ع. ق) في باب الثنائي الصحيح (العين مع القاف) ومادة (ع. ق. ل) في (باب الثلاثي الصحيح من حرف العين: باب العين والقاف واللام). [(١)] نجد د. هنداوي – على سبيل المثال- عند إعادة الترتيب يضع المادتين في موضعين متتاليين: (عقق- عقل) [(٢)] مراعيًا الترتيب الهجائي من ناحية، وفاكًا تضعيف القاف، معتبرًا إياها من الثلاثي من ناحية أخرى.

إضافةً إلى أمرٍ آخر، أنه قد يُعتمدُ على ائتلاف الكلمات من حرفين معينين في الحكم بعربية هذه الكلمات أو عدم عربيتها؛ ولذا يقول في تعليل عدم اجتماع أصواتٍ مع بعضها في كلمة واحدة: " القاف والكاف لا يجتمعان في كلمةٍ واحدةٍ، إلا

(١) ينظر: كتاب العين، في (عق) العين (٦٢/١)، و(عقل) (١٥٩/١) تح. المخزومي.

(٢) ينظر: كتاب العين (٣/ ٢٠٠و ٢٠٣)، تح. هنداوي.

أن تكون الكلمةُ معربةً من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم، وغير هذه الكلمات المعربة....." (١)

ومن أمثلة عدم مراعاة نظام الأبنية أيضًا ما فُعل في (مقاييس اللغة)، فمن المعروف أن ابن فارس راعى نظام الأبنية في معجمه، بتقسيمها إلى: باب الثنائي المضاعف، باب الثلاثي، ما زاد على ثلاثة أحرف. في حين تلاشى هذا التقسيم عند إعادة ترتيبه؛ إمعانًا في التيسير على الباحثين في المعجم.

فعلى سبيل المثال أورد معيدا ترتيب المقاييس في باب الحاء فصل الذال وما يثلثهما أربعة من المواد على الترتيب التالي:

- حذ
- حذر
- حذق
- حذلق

في حين تنتمي هذه الأربعة في المقاييس من حيث البناء إلى أبوابٍ ثلاثةٍ: فـ(حذ) من باب الثنائي المضاعف، و(حذر- حذق) من باب الثلاثي، و(حذلق) من باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف.

ولاحظتُ أن هذا التغاضي عن الأبنية ترتب عليه حذف عناوين الأبواب، أو إعادة تسميتها، ففي إعادة ترتيب معجم (العين) سمَّى د. هنداوي الأبواب بـ (باب الهمزة- باب الباء- باب التاء..إلخ) مخالفًا بذلك تسمية الخليل كما في المثال السابق، من حيث اعتماد تسمية الباب بحسب الأبنية، ثم بحسب الحروف وما يتبعها بحسب النظام الصوتي المعتمد عليه. في حين أطلق د. داود سلوم على كل باب من هذه الأبواب اسم حرف فأطلق: حرف الألف- حرف الباء...إلخ.

(١) كتاب العين حرف القاف (٦/٥) تح. المخزومي.

وكذلك في إعادة ترتيب (المقاييس) حَذَفَ معيدَا الترتيب تسمياتٍ عديدة وضعها ابن فارس، كـ(باب الباء وما بعدها في الذي يقال لـه المضاعف) ومثلـه (بـاب البـاء والتاء وما بعدهما في الثلاثي). والاكتفاء باسم الكتاب (كتاب الباء)؛ وبذلك صار الحرف الأول كتابًا وليس بابًا؛ لأن ذلك لا يتوافق مع الترتيب الجديد.

وأضيف هنا أنه مع فصل معيدي هذين المعجمين الأبنية وعدم مراعاة نظام المعجمين الأصليين فيهما، فقد وقعت بعض الأخطاء – فيما يخص ذلك الشأن– منها في محاولة إعادة ترتيب معجم (العين)، فقد جعل (أَمْ) بعد (أمم) وقبل (أمن) وكان من المفترض أن يكون الترتيب هكذا: (إلى– أَمْ– أمم– أمن) مراعاة للترتيب بحسب الأبنية؛ لأن كلمة (أَمْ) ثنائية الوضع، بينما (أمم) ثلاثية كما هو واضح. [1]

بل وقع الخطأ في كلمات البناء الواحد كالثلاثي ففي محاولة إعادة ترتيب معجم (العين) أيضا، ذكرتْ مادة (أخت) بعد مواد (أخذ– أخر– أخا= أخو) وقبل (أدب)، ولاشك أن في هذا الترتيب المبني على الأساس الهجائي خطأً نتيجة عدم مراعاة الحرف الثالث، ومن المفترض أن يكون الترتيب هكذا: (أخت– أخذ– أخر– أخا= أخو– أدب...إلخ) [2]

وهكذا نجد آثارا سلبية لإعادة ترتيب المعجمات فيما يخص تغيير المقاصد المعجمية التي حرص المصنفون على بناء معاجمهم في إطارها، كفصل الألفاظ الزائدة على ثلاثة عما عداها، ورأيهم في أصالة بعض الحروف أو زيادتها، والنص على المهمل من الأبنية تمييزا له عن المستعمل. وما يصحب ذلك من تغيير في الفئة المستهدفة من هذه المعجمات المعاد ترتيب مادتها.

خامساً- إعادة الترتيب وتحقيق المعجم:

(١) كتاب العين حرف القاف (٩٠/١)

(٢) كتاب العين (٦٠/١) تح. هنداوي.

لاشك أن تحقيق المخطوطات من الأمور التمهيدية المهمة، التي لابد أن تسبق العمل على أي مؤلَّف، أو مصنَّف، سواء أكان هذا العمل دراسةً أم شرحا أم تحشية أم اختصارًا.. إلخ

ومن المعروف أن كثيرًا من العلماء صرفوا عنايتهم إلى تحقيق مخطوطات المعجمات اللغوية بدءًا من كتاب العين للخليل- الذي صدر بأكثر من تحقيق- وصولًا إلى تاج العروس بتحقيقاته المتعددة أيضًا، ومن ثم فإن معيدي ترتيب المعجمات وجدوا أنفسهم أمام معاجم محققة يريدون إعادة ترتيبها، فهل اعتمدوا على أحد تلك التحقيقات، كخطوة يمكن البناء عليها، واكتفوا بالعمل على إعادة الترتيب فقط أم كان الأمر غير ذلك؟

من خلال النماذج التي جعلتها إطارًا لهذه الدراسة يمكن القول إن معيدي المعجمات تعاملوا معها من حيث التحقيق على اتجاهات ثلاثة:

الأول: اعتمد بعض معيدي المعجمات على تحقيقٍ علميٍّ سابقٍ للمعجم، على نحو ما وجدنا في إعادة ترتيب معجم (العين) على يد د. هنداوي، حيث اعتمد على تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، يقول: " نشير هنا إلى أن الأصل الذي اعتمدناه، وقمنا بترتيبه هو مطبوعة العين الكاملة في ثمانية أجزاء، والتي نشرتها وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية سنة ١٩٨٠ ط دار الرشيد للنشر، بتحقيق الفاضلين: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، وقد أفدنا بمطبوعة ومخطوطات مختصر العين في تصحيح بعض هنات المطبوع، كما أفدنا في ذلك كذلك من سائر المعجمات وكتب الغريب واللغة..."[(١)] على أن هنداوي لم يثبت تعليقات المحققين، اللهم إلا في توثيق بعض الأبيات الشعرية. وبعض

(١) ينظر: كتاب العين (٤/١ الهامش)، د. هنداوي.

التعليقات على المتن، مشيرًا إليها بحرف (ط)، ومن ذلك نقله تعليق محققيْ العين على ما ورد في مادة (ج. د. ع) من قول سيبويه [قال سيبويه: يقال: جدّعته، أي قلت له: جدعًا] بقولهم في الهامش: أكبر الظن أن المحصور بين القوسين مقحمٌ، وليس من الأصل.(١) وبالطبع فإن أهمية هذه الإشارة تتمثل في النقل عن سيبويه وهو من تلامذة الخليل والمتأخرين عنه.

ومع اعتماد د. هنداوي على الطبعة المشار إليها فإن العجيب في الأمر ذكره عمله في المعجم على أنه (ترتيب وتحقيق)!!

واعتمد د. داود سلوم ومن معه في إخراج العين أيضا على تحقيق المخزومي والسامرائي، ذاكرين إلى ذلك في مقدمة عملهم، فيما نصه: « واعتمدنا في هذا الترتيب على النسخة التي طبعت في بغداد ما بين ١٩٨٠ و ١٩٨٥ بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي» (٢)

ويبدو أن الذي دفع د.هنداوي وكذلك د. داود ومن معه إلى الاعتماد على هذا التحقيق بعينه اشتهار هذا التحقيق، وكونه مشهودا له بالدقة بين أوساط العلماء، ولذا رأى صاحبا محاولتي الإعادة في الإقدام على التحقيق مرة أخرى، خطوة أغناهم عنها المخزومي والسامرائي، وأجدني مقتنعا في تخطيهما مرحلة التحقيق، لأمر آخر غير اشتهار التحقيق السابق يتمثل هذا الأمر في أن هدفهم تيسير طريقة البحث في المعجم، لا الشك في متنه، أو وجود خلل في الصناعة التحقيقية؛ مما قد يكون مدعاةً لإعادة تحقيقه قبل إعادة ترتيبه، لكن ما آخذه على معيدي ترتيب

(١) ينظر: كتاب العين (٢١٩/١ هامش ٥)، تح. المخزومي، وينظر: كتاب العين (٢٢٤/١ هامش ١). د. هنداوي.

(٢) ينظر: كتاب العين– معجم لغوي تراثي، المقدمة.

العين في المحاولتين السابق الإشارة إليهما أنهما لم يذكر في مقدمة إعادة الترتيب أسباب اكتفائهم بهذا التحقيق السابق.

وممن اعتمد كذلك على تحقيقٍ سابقٍ، ولم يذكر سبب الاعتماد عليه مُعيدَا (ترتيب مقاييس اللغة)، حيث اعتمدَا على تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون لهذا المعجم، إلا أنَّ عملهما كان مختلفًا فيما يخص إثباتهما مقدمة التحقيق، وكذا الهوامش التي سطرها المحقق بقلمه، مع إجرائهما بعض التغييرات التي تطلَّبها الترتيبُ الجديدُ. فقد أوردا في مقدمة إعادة الترتيب من ضمن أعمالهم في المعجم ما نصُّه: « حافظنا على التعليقات التي علقها محقق الكتاب »[1]

الثاني: لم ينص فيه معيدو المعجمات على الأصل الذي سيعتمدون عليه، أو كونهم سيعيدون تحقيقه مرة أخرى، ومن ذلك محاولة إعادة ترتيب (الصحاح) و(القاموس المحيط)، اللذين طبعتهما دارُ الحديث بترتيبهما الجديد.

الثالث: بدأ أصحاب هذا الاتجاه تحقيق المعجم مقترنا بعملية إعادة الترتيب، ومن ذلك (لسان العرب)، بحسب ما أثبت المحققون في صدر المعجم، فقد ذكروا أن « .. هذه الطبعة الجديدة تفضل الطبعات السابقات بما يأتي: مقابلة النسخة التي اعتمدناها أصلا على المصادر التي استقي منها (ابن منظور) مادة معجمه، وهي الصحاح للجوهري...»[2]

وكذلك فُعل بـ(مختار الصحاح) إلا أن الأمر فيه كان مجرد تصحيح وضبط، يقول الشيخ محمود خاطر: «.. هذا وقد أتى على (المختار) من تحريف النسخ والطبع ما تنكرت معه صورته، ورثى له من أجله صاحب العطوفة الهمام (حسين فخري باشا)

(١) مقدمة ترتيب مقاييس اللغة (٤)

(٢) مقدمة تحقيق لسان العرب (٨) دار المعارف.

ناظر المعارف العمومية وصاحب السعادة (يعقوب أرتين باشا) وكيلها المفضال، فاستقر رأيهما على إعادة طبعة بنفقة المعارف وعهدا في تصحيحه وضبطه إلى حضرة فضيلة الأستاذ الثقة اللغوي (الشيخ حمزة فتح الله) المفتش الأول للغة العربية في النظارة.. » [1] وحقق بعد ذلك عدة مرات، روعي في كل منها ما أرساه الشيخ خاطر من إعادة ترتيبه بحسب الألفبائية.

سادساً- إعادة الترتيب والتجريد من الزوائد:

في سبيل إعادة المعجمات لجأ البعضُ إلى المحافظة على نظام المعجم، من حيث اعتماده على التجريد من الزوائد، كمبدأ أساس اعتمد عليه معظم المعجمات العربية القديمة، ولذا وجدنا محاولات إعادة ترتيب كل من: (مختار الصحاح) و(لسان العرب)، و(الصحاح) وغيرها روعي فيها هذا المبدأ وتم الحفاظ عليه في الطبعات الجديدة المُعدَّلة.

وفي المقابل نجد من تجاوز مرحلة تيسير الترتيب المعجمي، إلى مرحلة أخرى من التيسير تنصبُّ على ترتيب الكلمات دون تجريد، مما رآه صعوبة في سبيل البحث في المعجم العربي، فإنَّ " بعض اللغويين العرب المحدثين قد أدركوا هذه الصعوبة، وبخاصة بعد اطلاعهم على المعاجم الأجنبية التي ترتب كلماتها حسب نطقها، لا حسب جذرها، فرغبوا في وضع معاجم ميسَّرة الشرح والتبويب، آخذين بالترتيب (الفرنجي) لكلمات المعجم، أي حسب نطقها لا حسب جذورها." [2]

وممن مزج بين إعادة الترتيب وعدم اعتماد الأصالة والفرعية الزاويُّ في (ترتيب القاموس)، مُعلِّلا ذلك بقوله: " وقد لوحظ عليه [أي: القاموس] أن مؤلفه نحا في ترتيبه نحوًا من العسير على كثيرٍ من طلاب اللغة البحثَ فيه، والوصول إلى بغيتهم

(١) مقدمة مختار الصحاح (د)

(٢) المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها (١٦٤)

من طريقه... ذلك أنه اعتمد في ترتيبه على اعتبار الحروف الأصلية للكلمة، وإهمال الحروف الزوائد.... وقد ظهر لي أن (القاموس) يكون أكثر فائدة لطلاب العلم، ويكون إقبالهم عليه أشد إذا أزيلت عنه هذه الصعوبة، وقُدِّم إليهم في ثوب جديد بحيث يرتب على حروف أوائل الكلمات كما درج عليه بعض المؤلفين، واعتبار حروف الكلمة المنطوق بها لا فرق بين زائد وأصلي، وبذلك يسهل عليهم الوصول إلى ما قصدوا إليه في سهولة ويسر." (١)

سابعاً- إعادة الترتيب وفصل الأبواب عن بعضها:

ما دام الهدفُ من إعادة الترتيب العملَ على تغيير نظام الترتيب الخارجي للمواد، فإن الحاجة قد تدعو في بعض الأحيان إلى فصل بعض الأبواب عن بعضها البعض، وقد كان معيدو المعجمات في حاجة إلى فصل بعض هذه الأبواب، تلبية لهدف عملهم في هذه المعجمات، ومنها الفصل بين الواوي واليائي، فقد جعل الفيروزآبادي الواوي واليائي تحت باب واحد، وإن خَلَّص أحدهما من الآخر في معظم مواضعه، بالنص على ذلك، كما أشار في مقدمة معجمه بقوله:" ومن أحسن ما اختَصَّ به هذا الكتابُ: تخليص الواو من الياء، وذلك قِسْمٌ يَسِمُ المصنفين بالعيّ والإعياء.." (٢)

في حين فصل بينهما معيدو المعجم فصلاً تامًّا؛ سواءً الزاوي أو محققي طبعة دار الحديث؛ لملاءمة هذا الفصل لطبيعة الترتيب الجديد.

وكذلك يقال في فصل الواوي عن اليائي في معجم (الصحاح)، حيث جمعهما الجوهري تحت باب واحد، هروبًا من صعوبة الفصل بينهما، وهو ما كان سبيلا للنقد في هذه النقطة على وجه الخصوص في كثير من المعجمات العربية.

---

(١) ترتيب القاموس المحيط (٣/١، ٤).

(٢) القاموس المحيط (٢٧/١).

وقد فصل معيدو المعجمَ هذا الجمع بين اليائي والواوي، ملاءمةً للترتيب الجديد، لكنْ من اللافت أنَّ الجوهري نفسه، وقد جمع بين الواوي واليائي في باب واحدٍ، بحسب آخر حرف أصلي في الكلمة " خالف في الفصول ما اتبعه في الأبواب بإزاء الواو، فلم يجمع بينها وبين الياء. ولكنه أراد أن يفصل بينهما فصلًا واضحًا، ولذلك قدم الواو على الهاء وأعقبها بالهاء فالياء. وراعى في ترتيب الألفاظ في داخل الفصول الحروف المتوسطة أيضًا، وجعلها على ترتيب الألفباء مع تقديم الواو على الهاء هنا للمرة الثانية للفصل بين الواوي واليائي." [1] ولعله بذلك سهَّل الطريق أمام معيدي المعجم في مراعاة هذا الفصل في الحرف الأول الذي هو معتمدهم في إعادة الترتيب.

ثامنا- إعادة الترتيب والتَّصرفُ في المادة المعجمية:

يعمدُ بعضُ معيدي المعجمات العربية إلى المحافظة على متن المعجم؛ كونه كاشفًا عن جانبٍ من الفكر اللغوي – والمعجمي على وجه التحديد– لصاحب المعجم، وتتم هذه المحافظة من خلال إيراد مواد المعجم كاملة كما هي، ويكون التغيير الذي يلحق بالمعجم إنما يقتصر على ما اصطلح على تعريفه بالترتيب الخارجي للمعجم (= البينة الكبرى للمعجم)، لكني لاحظتُ أنَّ بعض معيدي الترتيب تصرَّف في متن المعجم نفسه، إما بحذفٍ أو تغييرٍ أو تكرارٍ، فمن النماذج التي تصرف فيها معيد الترتيب بالحذف؛ ففيما يخص هذا الجانب قد يشير بعض معيدي ترتيب المعجمات إلى إعمالهم أقلامَهم في حذف بعض الكلمات التي يرون عدم مناسبتها للفئة المستهدفة على سبيل المثال أو غيرها من الأسباب، والحذف من الأمور التي يجب أن يتحاشاها معيد المعجم، وكان مثل هذا التصرف مما أخذه أحمد عبد الغفور عطار على (مختار الصحاح) المعاد ترتيبه بواسطة وزارة المعارف

(١) المعجم العربي: نشأته وتطوره (٣٨٢/٢).

المصرية – كما أوردتُ في موضع سابق من هذا البحث – في إشارة إلى حذفهم ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء بحسب ما ورد في مقدمة معيد الترتيب. [١]

ولعل في هذه الإشارات حجةً لمعيد المعجم، من حيث بيانه منهجه الذي سار عليه وافقه البعض أو اختلفوا معه، ولذا فإن حديثي في هذه السطور سيكون عن حذف العبارات والكلمات دونما إشارة إلى ذلك في المقدمة أو غيرها من مواضع المعجم، ومن ذلك ما وجدتُه عند الزاوي من خلال إعادته معجم (القاموس)، فقد حذف بعض العبارات، دون النص على ذلك في الموضع نفسه، كما أنَّه لم يشر في مقدمته إلى أنه سيتصرف بالحذف أو الاختصار في المتن، ومن أمثلة هذا الحذف ما يلي:

- أورد في مادة (ط. و. ر): " ولقي منه الأطورِين – بكسر الراء– أي: الداهية، وبلغ في العلم أطوَرَيه – بفتحها– وقد تكسر أي: أوله وآخره." [٢]

بينما تمام هذا النص في القاموس: " ولقي منه الأطورِين بكسر الراء أي: الداهية، وبلغ في العلم أطوَرَيه بفتحها، وقد تكسر أي أوله وآخره، وطرطوني رماني مرمى بعد مرمى". [٣]

وتوقعت أنَّ الزاوي بذلك قد وَضَعَ في اعتباره مآخذ الشدياق في جاسوسه على القاموس، والتي من ضمنها: ضم الفيروزآبادي، كلمة (طوطرني) لمادة (ط. و. ر) بينما الصواب عنده أن تكون من (ط .ط .ر)؛ لأن الواو فيه ليست عين الفعل، بل هي زائدة للإلحاق بـ(دحرج)، فوزن طوطر (فوعل) لا (فعلل).[١] لكني لم أجد مادة (ط. ط. ر)، ضمن مواد المعجم، بعد إعادة الزاوي ترتيب مواده.

---

(١) مقدمة معيد ترتيب مختار الصحاح (د).

(٢) ترتيب القاموس المحيط، مادة ط. و. ر (١٠٧/٣).

(٣) القاموس المحيط، باب الراء فصل الطاء (٨٢/٢).

لكني لاحظت في بعض المواضع ما يمكن اعتباره مراعاةً من الزاوي لملاحظات الشدياق من حيث نقله بعض المداخل من مواد، ووضعها في موادَ أخرى، أشار الشدياق إلى صحة انتمائها إليها، ومثال ذلك ما أورده في باب الهمزة مع الهمزة والحاء: " الآحُ، كباب: بياض البيض الذي يؤكل. وآحِ: حكاية صوت الساعل. ويقال لمن يكرَه الشيء: آحٍ أو آحَ." (٢)

بينما نَصُّ القاموس في باب الحاء فصل الهمزة: " الآحُ، كباب: بياض البيض الذي يؤكل. وآحِ: حكاية صوت الساعل، وأيحَى وإيحَي كلمتا تعجب يقال للمُقَرطس، ويقال لمن يكرَه الشيء: آحٍ أو آحَ." (٣) وقد نقل عبارة (وأيحَى وإيحَي كلمتا تعجب) من مادتها كما ارتضاها الفيرزوآبادي إلى مادة (أ. ي.ح) (٤)

وتجدر الإشارة إلى أن للزاوي نفسه كتابًا آخر اختصر فيه (القاموس المحيط)، وسماه (مختار القاموس)، فكان من الأولى – فيما أرى– أن يبقي نص القاموس كما هو دون تغيير؛ لأن لديه معجمًا مختصرًا، يمكن من خلاله مراعاة تلك الأمور التي يرى اختصارها أو حذفها.

ومن النماذج ما تصرف فيها معيدو الترتيب بالتغيير؛ وقد ذكرتُ في المطلب الأول أن القسم الأول من محاولات إعادة ترتيب المعجمات تقترن بغيرها من أشكال التصرف، من مثل تهذيبه أو الانتقاء منه، أو الزيادة عليه من مصادر أخرى،

---

(١) ينظر: الجاسوس على القاموس (٥٠٤) أحمد فارس الشدياق، دار صادر بيروت، مصورة من نسخة مطبعة الجوائب– قسطنطينية ١٢٩٩هـ.

(٢) ترتيب القاموس المحيط مادة (أ. أ. ح) ٩٨/١

(٣) القاموس المحيط مادة (أ. أ. ح) مكتب تحقيق التراث.

(٤) ترتيب القاموس المحيط مادة (أ. ي. ح)

ولاحظنا أن هذا التصرف حتم على المتصرفين في المعجم إعادة تسميته بما يوضح حدود عملهم، وكأنه معجم جديد مصدره الرئيس هو المعجم المعاد ترتيبه.

لكن القسم الثاني والذي عليه المعول في هذا الجزء التحليلي فلم ينص معيدو الترتيب فيه إلى مثل هذه التصرفات البسيطة لا في العنونة ولا مقدماتهم، وهذا ما دعاني إلى اعتبار تصرفهم هذا من المآخذ التي تحسب على صنيعهم، ومن أشكال التغيير التي لاحظتها إضافة بعض العبارات إلى متن المعجم من معاجم أخرى، قصد التوضيح أو الشرح، ومن ذلك ما فعله د. عبد الحميد هنداوي في أكثر من موضع، ففي مادة (وثل) زاد العبارة التي بين حاصرتين من مختصر العين للزبيدي قال: " واثلة كل شيء: أصله، و[واثلة: اسم رَجُلٍ]"[(١)]

كما زاد في متن (العين) بعض العبارات من معجم (تهذيب اللغة)، وذلك في مادة (وعد) بقوله:" وعد: [الوَعْد والعِدة يكونان مصدرا واسما. فأما العدة فتجمع عِدات، والوعد لا يجمع.] والموعد: موضع التواعد وهو الميعاد." [(٢)] مشيرًا في الهامش إلى أن ذلك مما نقله الأزهري عن العين.

وأرى أنه مع إشارته إلى ذلك النقل في الهامش، وجعله النص المزاد بين حاصرتين، إلا أن الزيادة في حد ذاتها تعد تغييرًا في متن المعجم. خصوصًا أنه أورد في موضع من المعجم أنه سيعتمد على مختصر العين وغيره من كتب اللغة في تصحيح الهنات لا في الإضافة منها، وذلك في قوله: « وقد أفدنا بمطبوعة ومخطوطات مختصر العين في تصحيح بعض هنات المطبوع، كما أفدنا في ذلك كذلك من سائر المعاجم وكتب الغريب واللغة... » [(٣)]

---

(١) كتاب العين ، مادة (و. ث. ل) تح. هنداوي.

(٢) السابق، مادة (و.ع. د)

(٣) ينظر: كتاب العين (٤/١ الهامش) تح. هنداوي.

ويدخل في هذا الإطار ما ذكره معيد ترتيب مختار الصحاح ضمن منهجيته بقوله: « وأن ترد إلى كل مادة مشتقاتها التي يصعب على الطالب ردها إليها» [١]

وقد يطال التغييرُ تغييرَ شروح النص كشرح الهوريني على القاموس في طبعة دار الحديث، فقد أورد معيدا ترتيب المعجم في المقدمة، أنه " نظرا لأن العلامة الهوريني وضع الشرح على أساس ترتيب القافية، فقد قمنا عند التحويل إلى النظام الجديد ببعض التعديلات البسيطة والمحدودة في تعليقات الإمام الهوريني بما يتناسب مع الطريقة الجديدة من غير إخلال بمضمون التعليق أو التغيير في معناه." [٢]

ومن النماذج ما تصرف فيها معيدو الترتيب بالتكرار، ومن المعروف أن تقطيع أوصال بعض المواد المتشابهة في المعجم الأصلي من الأمور التي قد تصاحب عملية الإعادة، ومن ذلك: تكرار عبارات لم تكن مكررة في الأصل، أو تكرار العنوان مع كل موضع من المواضع التي كانت تحته، مع ملاحظة تغيير في صياغة العبارات، ومن ذلك ما ورد في الترتيب الجديد لـ(مقاييس اللغة) حيث أورد معيدا ترتيب المعجم في (كتاب التاء) ما نصه:

- [تبرك]: مما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء، تبراك التاء فيه زائدة...[٣]
- [ترنق]: مما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء، الترنوق الطين يبقى في سبيل الماء... [٤]

---

(١) مقدمة محقق مختار الصحاح (د).

(٢) مقدمة تحقيق القاموس المحيط (٦) ط. دار الحديث.

[٣] ترتيب مقاييس اللغة (١٦٥)

[٤] السابق (١٦٩)

- **[تولب]: مما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء، التولب: ولد البقرة، والقياس...** [1]

في حين أن نصَّ المقاييس بتحقيق هارون "(باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء): (التولب): ولد البقرة، والقياس..... وأما (تبراك) فالتاء فيه زائدة، وإنما هو تفعال..... و(الترنوق) الطين يبقي في سبيل الماء....." [2]

ومن الواضح أن تكرار عبارة: (مما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء) مع كل كلمةٍ من الكلمات التي كانت تحت هذا العنوان في المقاييس، مما خلفته عملية الإعادة، ويُلاحظ أيضا ما صاحب هذا التكرار من تغيير في عبارات ابن فارس نفسها.

---

[1] السابق (١٧٤)

[2] مقاييس اللغة (١/ ٣٦٤)

تاسعاً- إعادة الترتيب ونظام الإحالة:

إنَّ الانتقال من ترتيبٍ معجميٍّ معينٍ إلى ترتيبٍ آخرَ، يتطلب بعض الإجراءات المهمة التي تعمل على سد فجواتٍ قد تظهر بين المواد؛ نتيجة هذا الانتقال. ومن أهم هذه الإجراءات أو الوسائل- كما أرى- نظامُ الإحالة، الذي يعمل على تحقيق الترابط الداخلي بين مواد المعجم الواحد عند تأليفه أو إعداده، ومن باب أولى عند إعادة ترتيبه حينما تنفصل عرى بعض المواد التي أراد المصنف جمعها في مكان واحد.

وحينما فحصتُ مقدمات المعجمات – موضع الدراسة- وجدتُ أنَّ بعض معيدي الترتيب قد نصوا على تعديل نظام الإحالة، سواءً الموجودِ داخل متن المعجم، على نحو ما فعل معيدو (معجم الصحاح) طبعة دار الحديث، فمما ورد في منهجهم أنه " حينما يحيل المؤلف المادة على موضعٍ ما باعتبار القافية، فإننا أحلناه بدورنا على الترتيب الهجائي الذي اعتمدناه، وذلك بوضع هامش عند ذلك الموضع." [(١)]، أو الموجود في هامش المعجم، مما هو مِن صُنْع محقق المعجم، ففي مقدمة (ترتيب مقاييس اللغة) ذكر مُعيدَا الترتيب أن من منهجهم: " صححنا الإرجاعات المذكورة في الهوامش طبقا للترتيب الجديد." [(٢)] يقصدان الهوامش التي وضعها تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه لهذا المعجم.

في حين لم ينصَّ بعضُ معيدي المعجمات على هذه الإحالة في مقدماتهم مع اعتمادهم عليها، مثل: لسان العرب (طبعة دار المعارف)، ومن هؤلاء الهنداوي في معجم (العين).

---

(١) مقدمة معجم الصحاح (١٥)

(٢) مقدمة ترتيب مقاييس اللغة (٤)

وبالرجوع إلى بعض هذه الإحالات، رصدت بعضاً من مواطنها فيما يلي:

- **توهم أصالة الواو أو الياء في كلمةٍ، وبمعنى آخر: هل الكلمة بياء أو واو أصلية أم منقلبة عن غيرها؟ ورأى البعض أن مثل هذا التوهم والتردد يتطلبان إحالة الكلمة إلى مادتها الصحيحة وذلك بعد المادة التي قد تختلط بها.**

ومثال ذلك إحالة محمود خاطر كلمة (خيفة) في متن المعجم على مادة (خ. و.ف)، بعد مادة (خ. ي. ف) مباشرة؛ لعدم توهم انتمائها إلى المادة الأخيرة. وكذلك إحالته كلمةَ (نيَّة) في آخر باب النون، على مادة (ن. و. ى) في الصفحة نفسها؛ لعدم توهم انتماء الكلمة إلى مادة أخرى. وقد يكون الإبدال بين الواو والألف، كإحالته (راية) على (روى).[١] أو إبدال الواو همزة، على نحو ما أحال هنداوي (وأق) على (ووق).[٢]

- **وجود حروف قد يتوهم أصالتها في حين أنها زائدة، ومن ذلك إحالة خاطر (خيزران) على (خ. ز.ر)[٣] لعدم توهم أصالة النون، وإحالة هنداوي (أنن) على (أن) [٤] لعدم توهم أصالة النون.**

- **فَصْلُ الرباعي عن الثلاثي وإحالته عليه، من مثل إحالة الزاوي (كُبْكُب) على (ك. ب. ب)، وإحالته (الكِركِرَة) على (ك. ر. ر)[٥]**

---

(١) ينظر على الترتيب: مختار الصحاح (١٩٥و١٩٣)، (٦٨٧ والصفحة نفسها)، (٢٢٨ و ٢٦٥).

(٢) ينظر: كتاب العين (٣٤١/٤و ٤٠٦/٤). تح. هنداوي.

(٣) ينظر على الترتيب: مختار الصحاح (١٩٥، ١٧٤).

(٤) ينظر: كتاب العين (٩٤/١و٩١/١). تح. هنداوي.

(٥) ينظر: ترتيب القاموس المحيط (٥/٤ و٩/٤)، (٤١/٤ و٤/ ٣٤).

- **حذف حرف والتعويض عنه، مثل إحالة خاطر كلمة (رِقَة) في باب الراء- بحسب الترتيب الجديد- على (و. ر. ق) في باب الراء، وكما هو واضح فإن الحرف المعوض عنه في بداية الكلمة، وقد يأتي في آخرها كإحالته (رِئَة) على (رَأَى).[١]**
- **القلب المكاني بين كلمتين، مما يفرض على معيدي المعجم إحالة إحدى الصورتين إلى أختها، فعلى سبيل المثال إحالة د. هنداوي دأث على ثأد، فقال: " دأث: سبق في ثأد" [٢] ، وذلك لكونهما صورتين للقلب المكاني، لكن نظام التقليبات كان أوفق في جمعهما في موضع واحد وقد فسرهما الخليل تفسيرا واحدا حيث قال: "ثأد، دأث: الثأداء والدأثاء: الأَمَةُّ.. " [٣] وكذلك فعل في إحالة (دروس) على (دربس)، و(ذمقر) على (مذقر) [٤]**

وكما هو واضحٌ من خلال الأمثلة قد تكون الإحالة في متن المعجم نفسه، أو في الهامش كإثباته عملا من أعمال التحقيق وإعادة الترتيب، كما قد تكون الإحالة قبلية، بمعنى إحالة موضع تالٍ على موضع سابق، أو بعدية بإحالة موضع سابق على موضع تالٍ.

كما أننا وجدنا نوعًا آخر من الإحالة يمكن تسميته (الإحالة الخارجية)، فليست الإحالة هنا على موضع من المعجم المعاد ترتيبه نفسه، وإنما على المعجم قبل ترتيبه، أي في النسخة المشتملة على الطريقة التي اختطها صاحب المعجم لنفسه عند تصنيفه.

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (٢٥٤، ٧١٧)، (٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) ينظر: كتاب العين (١٩٥/١). تح. هنداوي.

(٣) ينظر: كتاب العين مادة (ث. أ. د)، تح. المخزومي.

(٤) ينظر: كتاب العين (٢/ ٢٤، ١٧٥/٢). تح. هنداوي.

وقد تحقق ذلك عند د. داود سلوم ومن معه في إعادة ترتيب العين، حيث أوردوا ما نصه: " وفي سبيل تسهيل الرجوع إلى الأصل فقد وضعنا أمام كل جذر رقم الجزء والصفحة التي ورد فيها، مثل الجذر (عهد) نضع أمامه رقم الجزء والصفحة حيث ورد هكذا: (١٠٢/١) وإذا امتد الجذر إلى الصفحة التالية نضع أمام التكملة رقم الصفحة الجديدة مثل (١٠٣/١) في تكملة الجذر (عهد) وهكذا." [١]

عاشرا- إعادة الترتيب ومراعاة النقود المعجمية:

هناك الكثير من النقود التي وجهها العلماء إلى انتماء الكلمات إلى موادها، ومن أشهر تلك النقود ما أبداه الشدياق في كتابه (الجاسوس على القاموس)، مما كان من المفترض أن ينتبه إليه معيدو القاموس، لكني لم أجد أثرًا لهذا الانتباه فيما اختبرتُ من نقود. وهذه نماذج من ذلك:

- وضع الفيروزآبادي كلمة (طوطر) في مادة (ط. و. ر) فقال: " وطوطرني رماني مرمى بعد مرمى."[٢]

ونقد الشدياق هذا الوضع بقوله: " وطوطر به رماه مرمى بعيدًا ذكره الفيروزآبادي هنا وهو غلط واضح؛ لأن الواو فيه ليست عين الفعل فيذكره في ط و ر بل هي زائدة للإلحاق بدحرج فوزن طوطر فوعل، لا فعلل، والصواب ذكره في ط ط ر "[٣]

ولم يراع معيدو القاموس طبعة دار الحديث، هذا النقد، وكذا الزاوي- بحسب ما ذكرتُ في موضع سابق من هذا البحث- فذكروا هذه الكلمة في المادة نفسها التي ذكرها الفيروزآبادي.

---

(١) مقدمة كتاب العين- معجم لغوي تراثي (ز). تح. سلوم

(٢) القاموس المحيط مادة (ط.و.ر) مكتب تحقيق التراث.

(٣) الجاسوس على القاموس (٥٠٤)

- وضع الفيروزآبادي كلمة (تبريز) في مادة (ب. ر. ز) فقال فيها: "وتَبريز، وقد تكسر: قاعدة أذربيجان."[١]

ونقد الشدياق هذا الوضع بقوله: " وهو اسم فارسي مركب من كلمتين، وهما تب وريز، ومعناهما مسقط الحمى، يزعمون أن من دخلها محموما فارقته الحمى، ولهذا ذكره ابن دريد في الرباعي، ووهم الفيروزآبادي وغيره فذكروه في ب ر ز." [٢]

ولم يراع معيدو القاموس (الزاوي– ط دار الحديث) هذا النقد، فتبعوا الفيروزآبادي في وضعه هذه المادة نفسها.

تعقيب:

يتضح من هذا المطلب أن هناك خصائص ميزتْ ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات العربية، كما انطوت هذه الخصائص على آثار سلبية جعلت من تلك الإعادة عملا معيبا في بعض الأحيان لا يرقى إلى مستوى ما أرداه صاحب المعجم لمعجمه، وإن كنا لا نرفض ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات العربية، إلا أننا في الوقت ذاته ننبه على تلافي تلك السلبيات التي قد تجعل من المعجم المعاد صورة معينة من المعجم الأصلي، فيُضر المعجمُ من حيث إردة نفعه وخدمته.

(١) القاموس المحيط مادة (ب.ر.ز)

(٢) الجاسوس (٢٠٩).

المطلب الثالث

إعادة ترتيب المعجمات والبدائل الأخرى

إن مثل هذه السلبيات التي وردت في ثنايا المطلب السابق، لتضعنا أمام سؤال مهم مفاده: ألا توجد بدائل أخرى لإعادة ترتيب المعجمات ، تجمع هذه البدائل بين المحافظة على أصل المعجم وترتيبه كما أراده صاحبُه من جانب، والتيسير على الباحث في مثل هذه المعجمات من جانب آخر؟ وفي الحقيقة وجدت بعض هذه البدائل، متمثلة فيما يأتي:

أ- إعداد فهارس متنوعة للمعجم:

حرص محققو المعجمات العربية على استعمال بعض الوسائل التي تسهل على الباحث الوصول إلى الكلمات داخل المعجمات على اختلاف ترتيبها، ومن هذه الوسائل الكشافات(١) التي توضع في نهاية المعجم، أو تخصيص مجلد مستقل لها بعد انتهاء مادة المعجم، ويُعرَّف الكشاف بأنه: " القائمة التحليلية الهجائية التي تُشير إلى الوحدات الدقيقة من المعلومات داخل النص، مثل المفردات اللغوية أو أسماء الأشخاص أو الأماكن أو المعاني أو غير ذلك من وحدات المعرفة التي ترد

(١) يرى البعض أن الكشاف يختلف عن الفهرس، من حيث إن الفهرس يدل على الوحدات الكبيرة من الأشياء، مثل: الكتب، وذلك نحو فهرس المكتبة الذي يوصل إلى الكتب داخل المكتبة، كما تستخدم كلمة فهرس لبيان محتويات الكتاب والصفحات التي تبدأ بها الأبواب والفصول. أما الكشاف فتقابل المصطلح الأجنبي **index** وهو يدل على الوحدات الصغيرة من المعلومات التي يتم تحليلها والإشارة إليها داخل الكتاب أو دائرة المعارف. وأميل إلى هذا التفريق وأوافقه. ينظر: تكشيف نصوص التراث العربي والأجنبي (٢٩، ٣٠) د. كمال عرفات نبهان، مكتبة الإمام البخاري، ط ثانية ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

في نصّ معين، مع تحديد أماكن وُردودها بالنصّ."[١]

وما يعنيني في هذا المقام الكشافات الهجائية لمواد المعجمات، خصوصًا فيما يتبع نظامًا صعبًا في ترتيبها بحسب التقليبات أو القافية. ومن هذه الكشافات أو الفهارس- بحسب تسمية واضعيها لها- سأكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج:

أوّلًا- فهارس مقاييس اللغة:

فقد ألحق الأستاذ عبد السلام هارون محققُ (المقاييس) بالجزء السادس (الأخير) فهارس عامة، ما يهمني منها في هذا البحث الفهرس الذي سماه: (ما ورد من الألفاظ اللغوية في غير مادته)، فعمل بذلك على ربط بعض الكلمات بموادها التي لم تُدرج تحتها، وهي خطوة في سبيل تيسير البحث عن الكلمات في المعجم، وإن كنت أرى ضرورة إرفاق المعجم بكشافات للمواد اللغوية مرتبة بحسب النظام الألفبائي العادي، وهو ما فعله في المعجم التالي الحديث عنه.

ثانيًا- فهارس تهذيب اللغة:

ألحق الأستاذ هارون بأجزاء معجم (تهذيب اللغة) جزءًا خصَّصه للفهارس الفنية المتنوعة؛ تذليلًا لصعوبة ترتيب التهذيب، وذكر في ذلك أنه " من البديهي أن الذي حداني إلى وضع هذا الفهرس هو تذليل العقبات التي تعترض الباحث في هذا المعجم الثقة العظيم المقدار، كما كان من أهدافي تيسير الانتفاع بشواهده.." [٢]

وقد ذكر أنَّه صنف فهارسه على خمسة أقسام، ما يهمنا منها " القسم الثاني: فهرس المواد اللغوية مرتبة على النظام الهجائي المعروف، وحسب أوائل حروف المواد، وقد استرعى نظري أن الأزهري كثيرا ما يفسر مادة أو يستكمل تفسيرها في أثناء مادة أخرى دون تبويب لذلك. فحرصت على أن أنص على بيان هذا بوضع

(١) تكشيف نصوص التراث العربي والأجنبي (٣٠)

(٢) فهارس تهذيب اللغة (١٧/ ٤)

أرقامه بين قوسين تمييزا له، كما بينت مواضع الحروف والأدوات النحوية والبلاغية بإفراد رسومها في ترتيب هذا الفهرس."[١]

ولعل كِبر حجم التهذيب هو ما دعاه إلى وضع هذا الفهرس في آخر المعجم نفسه، في حين لم يطبقه كله في المقاييس، كما أوضحتُ من قبل.

ثالثًا- فهارس (المحكم والمحيط الأعظم):

وضع كل من د. عبد الفتاح سليم، ود. حسين بركات فهارس (المحكم)، بتكليف من معهد المخطوطات العربية، وذُكر في التصدير له " لقد اعتمد ابن سيده في معجمه منهجًا فريدًا وخاصًّا يجعل الإفادة منه أمرًا عسيرًا على الباحثين المتخصصين، بله عامتهم، وكان لابد من فهارس (كشافات) تكون مفاتيح للولوج إليه من ناحية، ولاستخراج ما فيه من كنوز من ناحية أخرى." [٢]

والناظر إلى هذه المعجمات الثلاثة يلاحظ انتماءها إلى مدرستين معجميتين عُدَّ نظام كل منها على درجة من درجات الصعوبة: الألفبائية الدائرية (مقاييس اللغة)- التقليبات الصوتية (تهذيب اللغة - المحكم).

وسؤالي هنا: ألم يكن هذا النوع من الفهارس كافيًا في تذليل صعوبة الترتيب في مثل هذه المدارس، وبديلًا أقل عناء من إعادة ترتيب هذه المعجمات بحسب الترتيب الألفبائي العادي؟

يرى معيدا (ترتيب مقاييس اللغة) أنها لم تكن كافية ففي حديثهم عن المقاييس يقولان: " نعم لم يكن نظمه سهلا، بل نحا فيه أسلوبًا معقَّدًا لا يتيسر معه الوصول إلى المطلوب لبعض المحققين فضلًا عن عامة الناس، فبقى مطمورًا في زوايا المكتبات، تعلوه طبقات الغبار، حتى طُبع في مصر طبعة محققة بتحقيق الأستاذ/

(١) فهارس تهذيب اللغة (١٧/ ٤).

(٢) تصدير فهارس المحكم والمحيط الأعظم (٣) بقلم د. فيصل الحفيان.

عبد السلام محمد هارون، وجعل لها الفهارس الفنية للتسهيل على القارئ في رجوعه للمواد، لكنه لم يحسم الداء، بل بقي الكتاب بعيدا عن متناول الباحثين والمحققين للمؤونة في ذلك، خصوصا وإن الكتاب في ستة أجزاء، وفهارسه في الجزء الأخير، فيصعب المراجعة له في كل مرة."[١]

ولي تعليق على الكلام السابق، فهل يعد (مقاييس اللغة) بعيدًا عن متناول الباحثين والمحققين حقا؟

إن اعتماد الكثير من الباحثين والعلماء على مقاييس اللغة، خصوصا من يعرف منهم ميزة هذا المعجم في رد الألفاظ إلى أصول معينة محددة، وما ينصح به كثير من المشرفين باحثيهم بالرجوع إليه عند إرادة بيان المعنى اللغوي للمصطلحات_ كل هذا يدل على عدم صحة كلام معيدي الترتيب عن معجم المقاييس.

وهل حقا بعدهم عنه – مع عدم اقتناعنا به بحسب ماسبق الرد عنه– كان بسبب كون المعجم في ستة أجزاء والفهرس في الأخير، مما يكون سببا في صعوبة الوصول إليه في كل مرة؟ وماذا نقول عن تهذيب اللغة ذي الخمسة عشر جزءا بخلاف الجزء المخصص للفهارس بعدها؟

صراحة لا أجدني مقتنعا بأن عملهم في المقاييس أكثر فائدة للباحثين منه مع الفهارس في عمل الأستاذ عبد السلام هارون، ولعل اعتماد العلماء والباحثين على تحقيق هارون وفهارسه اعتمادا كبيرا يؤيدني فيما أذهب.

وقد فضَّل بعضهم البحث عن وسائل أخرى كالفصل بين المداخل أو تمييزها خطيًّا؛ محافظةً على نظام المعجم الأصلي تحقيقا لهدف مؤلفه وحفاظا على انتمائه المعجمي، فقد ورد في مقدمة دار صادر لـ(لسان العرب): " وأشير علينا أن نغير ترتيب (اللسان) ولكنا آثرنا أن يبقي على حاله؛ حفظًا للأثر من أن يغير، ولأن

(١) ترتيب مقاييس اللغة (٤)

ترتيب الأبواب على الحرف الأخير يعين الشاعر على القافية- ولعله أحد المقاصد التي أرادها صاحب اللسان- وهناك معاجم تسير على غير هذا الترتيب الذي اختاره ابن منظور، واختاره مثله الفيروزآبادي.

غير أننا تيسيرًا للبحث عن اللفظة المراد البحث عنها، وإيضاح مكانها من مادتها، رأينا أن نضع فواصل حاولنا بها على قدر الاستطاعة، أن نفصل بين اللفظة والأخرى، لكي تُبرز للباحث ضالته التي ينشدها بأيسر سبيل وأقل عناء. "[1]

ب- المعجمات الإلكترونية:

عند النظر في محاولات إعادة المعجمات العربية طرحت على نفسي سؤالا مفاده: أليس الحديث الآن عن صعوبة المعجمات القديمة في ظل التطورات التكنولوجية والتقنيات الخاصة بنشر الكتب الإلكترونية حجة واهية، وجهدا قد يكون ضائعا؟ أو بمعنى آخر: أليس في هذه المعجمات الإلكترونية وإقبال عدد كبير من الباحثين عليها غُنْيةً عن بذل الجهد في إعادة المعجمات بحجة صعوبتها؟ وهذا ما دعاني إلى البحث عن خصائص هذه المعجمات وبيان مدى اعتمادها بديلا عن إعادة الترتيب.

بداية لابد من التوضيح " أن المنبع الرقمي هو الأشد إغواءً والأقوى تأثيراً، والأكثر مرونة والأوفر غزارة في المعلومات. كما أنه يبدو أقرب إلى عقلية الجيل الصاعد الذي اعتاد على ألعاب الشاشة المغرية، وتمرّس بأساليب وتسهيلات الوصول إلى المعلومة الرقمية وتشعباتها، ووجد المتعة والسهولة في أن يقفز من بابٍ إلى بوابة أو نافذة مثل لمح البصر. إلا أن الاقتصار على المعلومة الرقمية لا يخلو من أخطار"[1]

(١) لسان العرب، مقدمة دار صادر.

ولذلك كله فقد قدمت بعض المؤسسات المعنية بخدمة المحتوى اللغوي بتذليل بعض الصعوبات التي قد تقابل الباحث في المعجم العربي، من خلال إتاحة المعجمات العربية القديمة في ثوب إلكتروني جديد، ومن أشكال هذه الإتاحة ما يلي:

أولا- المعجمات المتاحة على بعض مواقع الإنترنت، ومنها:

- موقع المعاني: (www.Almaany.com)، وهو يوفر إمكانية البحث في معاجم متنوعة منها بكتابة الكلمة المراد البحث عنها في خانة البحث، ومن ضمن هذه المعجمات معجم (لسان العرب).

- موقع الباحث العربي: (www.baheth.info)، وهو يقدم خدمة البحث في أهم القواميس والمراجع اللغوية العربية- على حد وصفهم- والمعجمات التي يمكن البحث فيها: لسان العرب- مقاييس اللغة- الصحاح- القاموس المحيط- العباب الزاخر.

- موقع صخر (معاجم): (www.maajim.com): وهو يقدم خدمة البحث عن الكلمات العربية في المعجمات ، ومنها: الصحاح- مختار الصحاح- لسان العرب- تاج العروس.

(١) مقال: المعاجم.. مؤونة الفكر وحصيلته، نشر بتاريخ: الخميس ٥ من نوفمبر عام ٢٠٠٩ بجريدة الاتحاد، على الرابط التالي:

http://www.alittihad.ae/details.php?id=35542&y=2009&article=full

ثانيا- المعجمات التي لا تحتاج إلى الاتصال بالإنترنت، ومنها:

المعجمات العربية القديمة المتاحة على المكتبة الشاملة بصيغة وورد (word)، وهي معاجم غالبا ما تكون موافقة للمطبوع يتم تحميلها من موقع المكتبة الشاملة (http://shamela.ws) وتخزينها على جهاز الحاسوب، وفتحها عن طريق البرنامج، ومن ثم كتابة الكلمة المراد البحث عنها في خانة البحث، وبالتالي تصل إلى الكلمة المطلوبة في أماكنها من البحث. لكن يراعى عدم الاعتماد على النص الوارد بها اعتمادًا كليًّا، في حالة التوثيق؛ لوجود الكثير من الأخطاء الناتحة عن عملية إدخال مادة بعض الكتب إلى هذه الموسوعة.

ولذلك فإن من أهم خصائص المعجمات الإلكترونية بأشكالها المختلفة السابق الحديث عنها هي سهولة الوصول إلى الكلمة المبحوث عنها في مكانها، أو أماكنها في المعجم.

وبالتالي يمكن اعتبار مثل هذه المعجمات التراثية – على اختلاف مدارسها اللغوية: (تقليبات صوتية– تقليبات هجائية– قافية– ألفبائية) – بأشكالها المتطورة، أو بثوبها الإلكتروني الجديد، طريقة أسهل للباحثين في هذه المعجمات، وأقل جهدًا بالنسبة لإعادة ترتيبها على طريقة أسهل من الطريقة التي وضعها فيها صاحب المعجم.

خاتمــة

من خلال تتبع ظاهرة إعادة ترتيب المعجمات ودراسة نماذج منها لبيان حجم محاولات تلك الإعادة والوقوف أمام أهدافها وخصائها وسلبياتها والبحث عن بدائل أخرى ظهرت لي بعض النتائج الآتية:

أوَّلًا- اتسمت الصناعة المعجمية في المصنفات المتأخرة بالتصرف في المعجمات السابقة تهذيبًا أو اختصارًا، أو إعادة ترتيب، أو استدراكًا عليها، أو جمعًا لعدد منها في معجم واحد، وغيرها من الأنماط التي تدل على أن كثيرًا من الكتب في الحضارة العربية- الإسلامية يمثل مشروعًا فكريًّا قابلًا للتطوير والتحسين.

ثانيًا- إن الأساس الذي تقوم عليه عملية إعادة ترتيب المعجمات العربية ينبني على تحويل الترتيب الخارجي لمعجم ينتمي لمدرسة معجمية بحسب ما ارتضاه صاحبه إلى ترتيب ينتمي لمدرسة معجمية أخرى، من غير تجاوز ذلك الترتيبُ الطرقَ التي انتهجتها المدارس المعجمية الأربعة: (التقليبات الصوتية، والتقليبات الهجائية، والقافية، والهجائية العادية).

ثالثًا- بعد فحص محاولات إعادة ترتيب المعجمات العربية، ارتأى البحث تجاوز ترتيبها الزمني إلى تصنيفها بحسب اختلاط الترتيب بغيره من أشكال التصرف أو تفرده ليخرج بقسمين كبيرين: الأول: إعادة ترتيب المعجمات مع غيرها من أشكال التصرف كـ(التلخيص أو التهذيب، والانتقاء، والزيادة، والدمج مع معاجم أخرى..) والثاني: إعادة ترتيب المعجمات فقط (وشمل أربع عشرة محاولة).

رابعًا- يعكس الامتداد الزماني لهذه الظاهرة - بدءًا من البرمكي في القرن الرابع الهجري من خلال محاولته إعادة الصحاح في معجمه (المنتهى في اللغة) مرورًا بالقرون: السابع، والثامن، والحادي عشر، والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر- يعكس مدى أهميتها والإلحاح عليها من زمن لآخر، في دلالة على مدى الحاجة المُلحَّة والمستمرة؛ لتيسير تعامل الباحثين والدارسين مع المعجمات العربية.

خامسًا- بفحص محاولات إعادة الترتيب نجد أنها توزعت بين الكثير من البيئات الجغرافية التي تعكس أبعادًا ثقافية متعددة، ما بين البيئتين المشرقية والمغربية، ففي المشرق العربي نجد الكثير من المحاولات، بينما لم تعط هذه الظاهرة العناية الكبيرة في المغرب العربي خصوصًا الأندلس. ولعل السر في ذلك يكمن في خصائص التأليف المعجمي في الأندلس ودوافعه، التي تتمثل في هيمنة معجم (العين) على الصناعة المعجمية الأندلسية هيمنةً واضحةً.

سادسًا- بدت هذه الظاهرة في أعمال المستشرقين من خلال إعادتهم بعض المعجمات، إلا أن تلك الإعادة لم تكن لديهم هدف في حد ذاتها، أو تخدم أهدافهم من دراسة تلك المعجمات، وإنما اتخذوا منها وسيلة في بعض الأحيان؛ لخدمة هدفهم في وضع معاجم تقابلية (ثنائية)، كما أن أعينهم كانت في المقام الأول على المادة المعجمية العربية.

سابعًا- علل البحث عدم اعتماد المستشرقين على الترتيب العربي - المتمثل في القافية غالبًا في محاولاتهم- واستبدالهم به الترتيب الهجائي بأمرين: أولهما: تأثرهم بالطريقة الهجائية التي اعتمدوها في ترتيب معاجمهم الغربية. وثانيهما: نقدهم للترتيب العربي المتمثل في القافية؛ لصعوبته.

ثامنًا- لوحظ على المعجمات المعاد ترتيبها انتماءُ معظمها إلى مدرستي: التقليبات الصوتية والقافية، اللتين تعدان من أصعب المدارس المعجمية العربية، من حيث طريقة البحث.

تاسعًا- يحكم مبدأ التيسير والسهولة حركة إعادة ترتيب المعجمات ، ولذلك فقد وجدنا أنَّ المدرسة التي حازتْ على قصب السَّبق في هذه الظاهرة المدرسة الهجائية، التي حُوِّل إليها كثير من المعجمات التابعة لمدرستي: التقليبات الصوتية والقافية.

عاشرًا- وجد البحث أن بعض معيدي الترتيب هم أصحاب المعجمات المعادة أنفسهم، ولعل ذلك من أنواع عبقرية التأليف العربي، فيما يعرف بتدريج النص.

حادي عشر- تمثلت بعض أهداف إعادة ترتيب المعجمات العربية في تيسير صعوبة الترتيب في المعجمات المعاد ترتيبها، وهو هدف تعليمي في المقام الأول. كما أن من الأهداف ما يتعلق بمسايرة التقدم الحضاري والحرص على التزود من ثقافة العصر.

ثاني عشر- فيما يتعلق بعنونة المعجم المعاد ترتيبه وجدت أن تعامل أصحاب تلك المحاولات - موضع الدراسة- توزعت بين نمطين: أحدهما- تم فيه تغيير عنوان المعجم، بإضافة قيدٍ يدل على التغيير الطارئ على المعجم فقط أو إضافة قيد يدل على التغيير مع بيان الطريقة الجديدة المعتمد عليها في الترتيب، وأخذ البحث ملاحظات على هذه التغييرات. وثانيهما: تم الإبقاء على عنوان المعجم الأصلي دون تغييرٍ أو إضافةٍ، كمختار الصحاح ولسان العرب.

ثالث عشر- رأى البحث أنه من الأوفق الإبقاء على الاسم الأصلي للمعجم، مع إضافة عنوان فرعي يدل على التصرف في الترتيب؛ إثباتا للتغيير الجديد وحدوده من جهة، وإبقاءً على العلاقة بين العملين الأصلي والمُغيَّر من جهة أخرى، وتفريقًا بينه وبين الصورة الأولى للترتيب الأصلي المعجم كما وضعه صاحبه من جهة ثالثة.

رابع عشر- ذهب البحث إلى أهمية وضع مقدمة لإعادة ترتيب المعجم، يُوضَّح من خلالها صعوبة نظام الترتيب الأصلي للمعجم، وأسباب التغييرات التي سيحدثها معيد الترتيب، ومنهجه وغيرها من الأمور التي لا تقل أهمية عن عناصر مقدمة المصنِّف نفسه.

خامس عشر- قد يصاحب عملية ترتيب المعجمات تغيير في المقاصد المعجمية، كما قد يصاحبها تغيير في تحديد الفئة المستهدفة من تصنيف المعجم، كالقارئ

العادي بدلا عن المتخصص العارف بأصوات اللغة ونظامها التصريفي، وقد تمثلت تلك التغييرات في مظاهر منها: تفويت أحد مقاصد المدرسة المعجمية، وتفويت أحد مقاصد صاحب المعجم، بل قد ينمحى هدفٌ من هذه الأهداف، مثلما رأينا في تلاشي الأساس الثاني الذي بنى عليه ابن فارس معجمه (المقاييس)، أعني قضية النحت.

سادس عشر- اعتمدت بعض محاولات الإعادة على تحقيق سابق للمعجم، خصوصا إذا كان هذا التحقيق مشهودا له بالدقة والتميز، في حين لم ينص بعض المعيدين على الأصل الذي اعتمدوا عليه، كما بدأ بعضهم تحقيق المعجم مقترنا بعملية إعادة الترتيب.

سابع عشر- لجأ بعض معيدي الترتيب إلى المحافظة على نظام المعجم، من حيث اعتماده على التجريد من الزوائد، كمبدأ أساس اعتمد عليه معظم المعجمات العربية القديمة، في حين تجاوز بعضهم مرحلة تيسير الترتيب المعجمي، إلى مرحلة أخرى من التيسير تنصبُّ على ترتيب الكلمات دون تجريد.

ثامن عشر- رصد البحث عدة تعديلات هيكلية تحتاج إليها عملية إعادة ترتيب المعجم، منها: فصل بعض الأبواب عن بعض، خصوصا بين الواوي واليائي، عدم اعتبار التقسيم بحسب الأبنية.

تاسع عشر- عمد بعض معيدي ترتيب المعجمات إلى المحافظة على متن المعجم، كونه كاشفا عن جانب من جوانب الفكر اللغوي والمعجمي لصاحب المعجم، في حين تصرف بعضهم في متن المعجم إما بحذف أو تغيير أو تكرار.

عشرون- من أهم الإجراءات التي صاحبت إعادة ترتيب المعجمات نظام الإحالة، الذي يعمل على تحقيق الترابط بين مواد المعجم، خصوصا عند إعادة ترتيبه، وقد وجدنا من المحاولات ما ينص على اعتماده على هذا النظام، واضطر بعضهم إلى

تعديل نظام الإحالة الموجود داخل متن المعجم. في حين لم ينص بعض آخر على هذه الإحالة إلى الإشارة إلى اعتمادها.

حادي وعشرون- من المواضع التي اعتمد معيدو الترتيب على الإحالة فيها: التردد بين أصالة الواو أو الياء في كلمة أو انقلابهما عن أصل، وجود حروف قد يتوهم أصالتها في حين أنها زائدة، حذف حرف والتعويض عنه.

ثاني وعشرون- ذكر البحث بعض البدائل الأخرى لإعادة ترتيب المعجمات، والتي يتمثل بعضها في إعداد فهارس متنوعة للمعجم، واسترشد في ذلك بالفهارس التي صاحبتْ معاجم: (مقاييس اللغة، وتهذيب اللغة، والمحكم والمحيط الأعظم). كما أن من البدائل البحث في المعجمات الإلكترونية، من حيث سهولة البحث، مع المحافظة على نظام المعجم الذي أرد صاحبه ظهوره عليه.

ثبت المراجع

- أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، د. عبد العزيز بن حميد الحميد، جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، سلسلة الرسائل العلمية (١٢٦) ١٤٢٣هـ- ٢٠١٢م.
- البلغة في أصول اللغة، صديق حسن خان، مطبعة الجوائب- القسطنطينية ١٢٩٦هـ.
- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط رابعة ١٩٩٠م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، د.ت.
- تاريخ اللغة والآداب العربية، شارل بلا، ترجمة: رفيق بن وناس وآخرين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٩٩٧م.
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للطاهر الزاوي، دار الفكر، ط ثالثة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.
- ترتيب مقاييس اللغة، علي العسكري، وحيدر المسجدي، طبعة مركز دراسات الحوزة والجامعة- إيران، الطبعة الأولى عام ١٣٨٧هـ.
- تكشيف نصوص التراث العربي والأجنبي، د. كمال عرفات نبهان، مكتبة الإمام البخاري، ط ثانية ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، دار صادر بيروت، مصورة من نسخة مطبعة الجوائب- قسطنطينية ١٢٩٩هـ.
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية- مرتب ترتيبا ألفبائيا على حروف المعجم، الجوهري، راجعه واعتني به: د. محمد محمد تامر، أنس الشامي، زكريا جابر، ط دار الحديث- القاهرة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- ظاهرة المهمل في معاجم اللغة، د. عمر فارس الكفاوين، بحث منشور بمجلة جسور المعرفة، العدد ٨، سنة ٢٠١٦، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب- جامعة الشلف- الجزائر.
- عبقرية التأليف العربي: علاقات النصوص والاتصال العلمي، د. كمال نبهان، ط مجلة الوعي الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- غوامض الصحاح، تح: د. عبد الإله نبهان، مكتبة لبنان ناشرون- لبنان، ط أولى ١٩٩٦م.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تح. أنس الشامي وزكريا جابر، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (٤٨) محمد جمال الدين القاسمي، قدم له الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، تح. مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- كتاب العين- مرتبا على حروف المعجم، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- كتاب العين- معجم لغوي تراثي، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب ومراجعة د. داود سلوم، ود. داود سلمان العنبكي، ود. إنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، ٢٠٠٤م.
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ت.
- لسان العرب، لابن منظور، ط دار صادر- بيروت، ط ثانية، دون تاريخ.
- لسان العرب، لابن منظور، تح. عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، دار المعارف، د.ت.
- مجمع البحرين، للطريحي، مؤسسة البعثة- طهران، ١٤١٤هـ.
- مجمل اللغة، لابن فارس، تح. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط. ثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م
- مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار المعارف، د.ت.
- المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على المعجم، لأبي البقاء العكبري، تح. ياسين محمد السواس، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القري، سلسلة (من التراث الإسلامي) الكتاب السابع والعشرون، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، إميل يعقوب، دار العلم للملايين- بيروت، ط ثانية ١٩٨٥م.
- المعاجم.. مؤونة الفكر وحصيلته، مقال منشور بتاريخ: الخميس ٥ من نوفمبر عام ٢٠٠٩ بجريدة الاتحاد، على الرابط التالي:
- http://www.alittihad.ae/details.php?id=35542&y=2009&article=full
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط أولى ١٩٩٣م.

- المعجم العربي بالأندلس، د. عبد العلي الودغيري، مكتبة المعارف – الرباط، ط أولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- المعجم العربي بين النظرية والتطبيق، د. عبد الله ربيع، ط ثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، مكتبة مصر، ط الرابعة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- المعجم اللغوي التاريخي، فيشر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط أولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م
- المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي، تح. محمود فاخوري- عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد- سوريا، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، تح: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، سابعة، ٢٠١٤م.